الإشكالات في أسباب النزول
بين التعريف والتطبيق

الأستاذ الدكتور
محمد عطا أحمد يوسف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الإشكالات في أسباب النـزول
بين التعريف والتطبيق

إعداد

الأستاذ الدكتور محمد عطا أحمد يوسف

أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة طنطا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،

فهذا البحث يتناول علم أسباب النزول، وهو أهم علوم القرآن الكريم؛ فبه نفهم كثيرا من مقاصد الآيات والسور، بل والقرآن الكريم جملة، وبه يمكننا أن نرصد الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية في البيئة العربية وقت نزول القرآن الكريم، ومن خلاله يمكننا أن نتبين كيف حول القرآن الكريم أمة من الناس لا تعرف من دينها سوى موروثات خرافية، وأحجار منقوشة، ولا تعرف في سياستها سوى هضم الضعيف وبطش القوي، ولا تعرف في مجتمعاتها سوى الحقوق الضائعة، والعلاقات المغشوشة، فالمرأة . حرة أو أمة . سلعة لا كيان لها ولا قيمة، وهى مناط السب والمعايرة، والرجال إما يتنافسون في حروب مهلكة أو في خمور مفسدة، أو في شهوات مضيعة.

فإذا بالقرآن الكريم ينشئ هذه الأمة نشأة أخرى، وينبتها نباتا حسنا ويبدل كل شيء في حياتها، فتتبدل حياتهم في سنوات قلائل من ظلمات الجهل إلى منارات العلم، ومن التمزق والتفرق إلى الوحدة والتوحد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

وأسباب النزول من العلوم التي ترصد خُطى التغيير لهذه الأمة، وتبين تحولها من لا شئ إلى كل شيء؛ ومن هنا كان هذا العلم يلتصق بالنص القرآني التصاقا شديدا؛ فنشأته مع نزول الآيات المرتبطة بأسباب وتساؤلات وأحداث جرت في عهد النبي ﷺ، ونهايته بموت النبي ﷺ، فهو محدد الزمن والمصدر فزمنه هو فترة النزول القرآني فقط لا يتعداها إلى ما بعدها، ومصدره لا يتعدى آيات القرآن الكريم، وأحداثه لا تدور إلا في وجود النبي الكريم ﷺ وهذه السنوات التي نزل فيها النص القرآني وتكونت فيها أمة إسلامية فتية قوية فاهمة، عاملة تشق طريقها حاملة مشاعل الهدى إلى البشرية، هذه السنوات التي لا تتجاوز ربع قرن (ثلاث وعشرين سنة) هي مدة الوحي المبارك، وهى التي لم تعرف لها البشرية مثيلا قد شهدت ميلاد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا العلم وأحداثه، وهذا من أهم الأسباب الداعية إلى الاهتمام به، ورصد مراحله وتفاصيله وإشكالاته.

وقد أفرده بالتصنيف علماء أجلاء أشهرهم الواحدي (ت ٤٦٨ هـ)، وما من مفسر للقرآن الكريم إلا ويعتمد على علم أسباب النزول، فيغترف من رواياته كثرة أو قلة؛ حتى تضخمت رواياته تضخما لافتا؛ حتى ذهب بعض من لا علم لهم بالقرآن ولا بأسباب نزوله إلى القول بأن لكل آية في القرآن سبب نزول! وهذا قول ساقط بدليل العقل والنقل كما سنرى في بحثنا هذا، إلا أن قولنا بسقوط هذا القول لا يعني أن كل ما ورد في كتب أسباب النزول وعلوم القرآن وكتب التفسير وبخاصة القديم منها صحيحة مقبولة، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث أن نعيد النظر في إشكالات تعريفه وتطبيقه على السواء؛ وقد استوعبنا فيه قدرا كبيرا من ذلك في ثلاثة مباحث أولها: هل في علم أسباب النزول إشكالات؟ وثانيها: إشكالات التسمية والتعريف؛ عرض وتحليل، وثالثها: إشكالات التطبيق وذلك من خلال التطبيق على الروايات التي وردت حول آيات سورة المجادلة كأسباب نزول لها، والله من وراء القصد ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩﴾ [سورة النحل:٩].

❁ المبحث الأول: هل في علم أسباب النزول إشكالات؟

والجواب: نعم.

أول من أشار إلى هذه الإشكالات هو صاحب أشهر مصنف في أسباب النزول وهو الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) في كتاب أسباب النزول فقال في تقديمه لكتابه:

(وَأَمَّا الْيَوْمُ فَكُلُّ أَحَدٍ يَخْتَرِعُ شَيْئًا وَيَخْتَلِقُ إِفْكًا وَكَذِبًا. مُلْقِيًا زِمَامَهُ إِلَى الْجَهَالَةِ، غَيْرَ مُفَكِّرٍ فِي الْوَعِيدِ لِلْجَاهِلِ بِسَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ. وَذَلِكَ الَّذِي حَدَا بِي إِلَى إِمْلَاءِ هَذَا الْكِتَابِ، الْجَامِعِ لِلْأَسْبَابِ، لِيَنْتَهِيَ إِلَيْهِ طَالِبُوا هَذَا الشَّأْنِ وَالْمُتَكَلِّمُونَ فِي نُزُولِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَيَعْرِفُوا الصِّدْقَ، وَيَسْتَغْنُوا عَنِ التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبِ، وَيَجِدُّوا فِي تَحَفُّظِهِ بَعْدَ السَّمَاعِ وَالطَّلَبِ).(١)

فكما ترى أن الواحدي قد أشار إلى إشكالية القول في أسباب النزول وروايتها دون معرفة إسنادها ووقوع الرواة لهذه الأسباب في رواية الضعيف والموضوع منها.

وبعد الواحدي جاء ابن تيمية (ت ٦٦٠ هـ) والزركشي (٨٥٠ هـ) فأثارا إشكالا آخر يختص بصيغة أسباب النزول؛ وهل إذا قال الراوي هذه الآية نزلت في كذا يعد ذلك سببا أم لا؟(٢)

وقد استدرك ابن حجر (ت٨٥٢ هـ) على الواحدي فصنف كتابه " العجاب في بيان الأسباب " فبين ما في كتاب الواحدي من إشكالات الروايات الواهية، والأسباب الضعيفة.(٣)

وبعد ذلك جاء السيوطي (ت ٩١١ هـ) فأثار إشكالا من نوع آخر يختص بمضمون سبب النزول؛ إذ نبه إلى أن سبب النزول المعتمد والذي يعتد به هو ما

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ت٤٦٨ هـ) الطبعة المحققة مقدمة الكتاب صـ١١ تحقيق: كمال بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

(٢) مقدمة في أصول التفسير صـ ١٥ لابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨ هـ) دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٩٠ هـ/ ١٩٨٠م، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (ت: ٧٩٤ هـ) ٢٢/١ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، 1957م.

(٣) العجاب في بيان الأسباب ١٩٩/١ لابن حجر. تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس . دار ابن الجوزي . د.ت.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كان في زمن نزول القرآن وفى حياة رسول الله ﷺوأما ما تتحدث به الروايات عن أحداث ومواقف أنبياء الله السابقين مع أقوامهم فليس من أسباب النزول في شيء ومن هذه الروايات الكثير في كتب التفسير.[١]

واستكمالا لما نبه له السيوطي أثار من بعده الدهلوي (ت١١٧٦ هـ) إشكالا يتصل بمحتوى سبب النزول ومضمونه أيضا فقال: (ومن المواضيع الصعبة أيضاً معرفة أسباب النزول، ووجه الصعوبة في هذا الباب كذلك اختلاف المتقدمين والمتأخرين فيها... إلخ)[٢]

ونبه الإمام الطاهر بن عاشور إلى خطورة الاعتماد على الأسباب غير الصحيحة، والروايات المتكلفة في أسباب النزول حيث يرى أنها تسبب إشكالا وخطرا عظيما في كتب التفسير؛ فقال: (فَكَانَ أَمْرُ أَسْبَابِ نُزُولِ الْقُرْآنِ دَائِرًا بَيْنَ الْقَصْدِ وَالْإِسْرَافِ، وَكَانَ فِي غَضِّ النَّظَرِ عَنْهُ وَإِرْسَالِ حَبْلِهِ عَلَى غَارِبِهِ خَطَرٌ عَظِيمٌ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ. فَذَلِكَ الَّذِي دَعَانِي إِلَى خَوْضِ هَذَا الْغَرَضِ فِي مُقَدِّمَاتِ التَّفْسِيرِ لِظُهُورِ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى تَمْحِيصِهِ فِي أَثْنَاءِ التَّفْسِيرِ...)[٣]

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول . للسيوطي . تحقيق أحمد عبد الشافي ٤/١ . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . د.ت.

(٢) الفوز الكبير في أصول التفسير. ١/ ٩٥ الإمام أحمد بن عبد الرحيم (المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (المتوفى: ١١٧٦ هـ) . عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي . دار الصحوة – القاهرة . الطبعة: الثانية – ١٤٠٧هـ–١٩٨٦م.

(٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) . الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م ٤٦/١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي مقدمة تفسيره كشف الدكتور/ محمد عزت دروزة (ت ١٤٠٤ هـ) عن إشكالات عدة في روايات أسباب النزول التي ملأت التفاسير القديمة والمعاصرة على السواء، وكان أهم ما أشار إليه في ذلك ارتباط محتوى بعض هذه الأسباب بمواقف سياسية.(١)

هذا طرف من تتبع هذه الإشكالات منذ نشأتها حتى وقتنا المعاصر، وعلينا أن نلاحظ من خلال هذا التتبع عددا من الأمور:

❋ **أولا:** إن علماء المسلمين كانوا منذ نشأة هذا العلم وجمعه في مصنف واحد يعلمون جيدا ما يحيط به من إشكالات، وإن الحديث فيها كان ولا يزال من باب تقويم مناهجه، وتطبيقاته، للوصول من خلال تطبيقه في كتب التفسير إلى أدق النتائج التي تؤدى في النهاية إلى فهم النص القرآني فهما علميا صحيحا دقيقا يقترب به صاحبه من فهم مراد الله ﷻ في كتابه هداية وسلوكا.

❋ **ثانيا:** إن كل من ذكرتهم من علمائنا ومن كان على شاكلتهم ممن لم أذكرهم ينطلقون من الإيمان بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولا، وبالقرآن الكريم وحيا منزلا من عند الله ﷻ لهداية البشرية.

❋ **ثالثا:** إن كل علماء المسلمين المعنيين بشأن القرآن وعلومه يؤمنون بأهمية هذا العلم في تفسير كتاب الله ﷻ، وغاية ما يخشونه أن يؤدى الضعف في بعض مفاهيمه إلى الفهم الخاطئ لبعض الآيات القرآنية.

❋ **رابعا:** إن فيما ذكرناه دلالة واضحة على أن العقلية الإسلامية الصحيحة عقلية ناقدة، وهي أبعد ما تكون عن التقليد إذا ما اتصل الأمر بالبحث في مناهج العلوم وتقويمها، واستخدامها في خدمة بعضها بعضا. وأن هذا النقد لا تؤول نتائجه إلى الهدم، بل إلى الضبط والبناء والتأصيل لعلوم القرآن خاصة، ولسائر العلوم كافة.

---

(١) التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول] . ٢٠٥/١ محمد عزت دروزة . دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ـ الطبعة: ١٣٨٣ هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهذه الأمور التي ذكرناها أردنا من خلالها أن ننبه إلى نابتة نبتت في ديار المسلمين وبين أبنائهم، وهم بعض ذراري المسلمين الذين ينتهجون نهجا علمانيا في فهم علوم القرآن الكريم، لا ليقدموا تقويما لهذه العلوم لتؤدي وظائفها في القرآن الكريم كما رأينا من علمائنا فيما سلف من سطور؛ ولكن ليتوصلوا من خلال نقدهم (أو بالأحرى هدمهم لهذه العلوم) إلى النيل من قدسية القرآن الكريم؛ وذلك من خلال الزعم أنه نص بشرى أرضي لا علاقة له بالسماء ولا برب السماء!

فقد أثار العلمانيون غباراً كثيفا حول علم أسباب النزول متذرعين من خلاله للوصول إلى القول ببشرية القرآن، لينتزعوا عنه صفة القداسة الإلهية، ويظن العلمانيون بقولتهم هذه أنهم أصحاب نقد، وأصحاب فكر، لكننا عندما نبحث في الباعث الأول خلف قيلهم هذا نجد أن الداعي الأول لهذه الأقوال هو مواجهة الإسلام، ومحاولة النيل من أصوله الثابتة وأولها القرآن الكريم.

وكانت وسيلتهم إلى ذلك هو محاولة طرح مفاهيم مغلوطة حول علوم القرآن الكريم، ومنها علم أسباب النزول، إذ يقولون عنه: ((كل آيات الوحي نزلت في حوادث بعينها، ولا توجد آيات أو سور لم تنزل بلا أسباب، والسبب هو الظرف، أو الحادثة، أو البيئة التي نزلت فيها الآية...، ولما كانت الآية لا تنزل إلا بعد وقوع السبب، كان الأدنى شرط الأعلى ـ مما يعنى ـ أسبقية الواقع على الفكر وأولوية الحادثة على الآية، المجتمع أولا والوحي ثانيا؛ الناس أولا والقرآن ثانيا؛ الحياة أولا والفكر ثانيا)).[1]

وهذا القول منهم يجعلنا نميز بين اتجاهين متضادين في الحديث عن الإشكاليات في أسباب النزول:

أما الاتجاه الأول فيمثله علماء المسلمين الذين كتبوا عن هذا العلم تأريخا، وتنظيرا، وتطبيقا وأبرزهم: الواحدي، وابن تيمية، والزركشي، والسيوطي وغيرهم قديما، والطاهر بن عاشور، والدهلوي، ومحمد عزت دروزة، وغيرهم حديثا، فهؤلاء جميعا: القدماء منهم والمعاصرون ينطلقون في حديثهم عن إشكالية أسباب النزول من

---

(١) راجع أسباب بين علماء علوم القرآن والحداثيين / صـ ٨٣٧ / مجلة كلية أصول الدين والدعوة / العدد الأربعون / د/ إبراهيم على نقلا عن الحداثة في العالم العربي صـ ١٢٩٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

منطلقات إسلامية تؤمن بربانية القرآن الكريم وقداسته، وعالمية الإسلام وامتداده زمانا ومكانا، والحوار الفكري العقلي العميق الذي يديرونه حول هذا العلم تأريخا، وتنظيرا، وتطبيقا. يسعى إلى الوصول إلى الفهم الأمثل لأصول هذا العلم، والتطبيق الأقوم له في تفسير القرآن الكريم وفهم آياته.

وأما الاتجاه الآخر فيمثله العلمانيون أدعياء الحداثة الذين لا سلف لهم فيما قالوا، ولا أصول لهم فيما ادَّعوا. وهؤلاء ينطلقون من العداء للقرآن، والمواجهة للإسلام، وإن تزيوا بزيه والتحفوا بردائه. ومن الغريب والعجيب أن نجدهم يدَّعون العلم والفكر والإنصاف فيما يدعون وهم ـ بلا حياء ـ يسطون على تراث علماء المسلمين فيحرفونه ويؤولونه ويخلطونه بسمومهم الفكرية، ثم يخرجونه في ألفاظ برَّاقة يخادعون بها من لا علم له ولا دراية.

ويجعلون من علم أسباب النزول مطيتهم الأولى التي يمتطونها للتوصل بها إلى القول بأن القرآن الكريم ما هو إلا نتاج بشرى فيزعمون أن لكل آية في القرآن سبباً، والسبب هو عبارة عن حادث وقع في حياة الناس، فلولا وقوعه ما نزل القرآن الكريم فالأسبقية عندهم للأسباب لا للآيات؛ والسؤال الذي يجب أن نتوجه به إلى أصحاب هذا القول هو: من صاحب هذا القول؟ ومن سلفكم فيه؟

فهذا القول لا أساس له من الصحة، ولا دليل عليه لا عقلا ولا نقلا، فلو سألناهم إن كنتم تؤمنون بالقرآن الكريم منزلا من عند الله فما هو سبب نزول الآيات التي تتحدث عن وحدانية الله ﷻ؟، وما سبب نزول الآيات التي تتحدث عن الجنة والنار؟، وما هو سبب نزول الآيات التي تتحدث الأخلاق الإنسانية العامة التي لا ترتبط بشخص ولا بزمان ولا بمكان كـ: العدل، والصدق، والعفة، والأمانة، والتسامح، والتعاون على البر والمصالح العامة، والإحسان ...إلخ؟ وما هو سبب نزول الآيات التي تحدثت عن قصص السابقين؟

إن البحث العلمي المنصف الدقيق لا بد أن يقوم على أسس نقلية صحيحة، أو براهين عقلية صريحة، أي لا تنكرها العقول السوية، والعلمانيون ربما لا يؤمنون بالأدلة النقلية الصحيحة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن هنا كان الجواب الإحصائي الاستقرائي القائم على براهين عقلية إحصائية هي خير دليل على سقوط دعواهم: (إن الجواب الإحصائي الاستقرائي لآيات أسباب النزول ـ حتى الواهي سندا ـ والتي أحصيناها فوجدنا المدقق منها بحسب جمع الواحدي " ٤٧٢" آية من مجموع آيات القرآن الكريم وهو " ٦٢٣٦" آية بنسبة"٥ ,٧ % "، بينما بلغ جمع السيوطي وهو من توسع في ذلك " ٨٨٨" أي بنسبة ١٤٪ فأين هي افتراءات العلمانيين بأن كل آيات القرآن نزلت على أسباب".[١]

هكذا كان رد الدكتور محمد عمارة على الغلو العلماني في حديثهم عن أسباب النزول، وتابعه في ذلك من الباحثين الدكتور / إبراهيم علي الذي قدم إحصاء أكثر دقة مما سبق فقال: (والواقع إننا لو عدنا إلى أسباب النزول للإمام السيوطي لوجدنا عددها " ٦٣٥" وهي عند الواحدي " ٤٦٢" ولو أحصينا الصحيح المسند منها حسب ما قام به مقبل بن هادى الوادعي لوجدناها " ٢٠٠" آية فقط.)[٢]

فهذا الإحصاء الذي قدمه علماء المسلمين يسقط دعاوى العلمانيين من أساسها، ويثبت أيضا أن الكم الأكبر من آيات القرآن الكريم نزلت ابتداء دون سبب كما قال الجعبري[٣] قديما، وبذلك يسقط أيضا تساؤلهم الذي يثيرون به الغبار حول هذه القضية وهو التساؤل عن الأسبقية للأسباب أم للآيات. فقد تبين أن الأسبقية لنزول آيات القرآن الكريم سواء أكان ذلك بسبب أو بدونه وهذا تحقيقا لإرادة الله ﷻ الواردة في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النساء:٢٦].

---

(١) سقوط الغلو العلماني ـ د/ محمد عمارة ص٢٥٥ ط دار الشروق ٢٠٠٢م

(٢) راجع أسباب بين علماء علوم القرآن والحداثيين / صـ ٨٣٧ / مجلة كلية أصول الدين والدعوة / العدد الأربعون / د/ إبراهيم علي.

(٣) الجعبري هو العلامة إبراهيم بن عمر قال الذهبي في "المعجم المختص" "ص٦٠": "العلامة ذو الفنون مقرئ الشام، شيخ بلد الخليل، له التصانيف المتقنة في القراءات والحديث والأصول والعربية والتاريخ وغير ذلك. ولد في حدود عام "٦٤٠" وتوفي في "٧٣٢". وترجمه الحافظ في "الدرر الكامنة" "١/ ٥١-٥٢" والدكتور حسن محمد مقبول الأهدل في صدر تحقيقه لكتابه "رسوخ الأخبار في منسوخ الأخبار".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إنها إرادة الله للبيان والهداية والتوبة لبني البشر سواء أكان ذلك بسبب أو دون سبب.

وإذا كان سبب النزول ما هو إلا بيان للعلاقة بين حياة الإنسان المخلوق، وبين الخالق فإن ذلك يدل بلا شك على عظمة الخالق الذي يعلم كل ما يدور في خلد هذه المخلوق ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [سورة الملك:١٤].

بل ويدل من جهة أخرى على عظمة المنهج الرباني وهو النص القرآني الذي لا يتناول روح الإنسان فقط فيهذبها ويسمو بها إلى مراقي التحضر، وإنما يتناول جسده أيضا فيعدل حركته في الحياة فيجعلها تتوائم مع القيم السماوية الراقية التي يريدها الله ﷻ لهذا الإنسان.

فهذه الجدلية التي نراها في علم أسباب النزول ـ بين الخالق والمخلوق ـ إنما تدل ببداهة شديدة على واقعية المنهج القرآني، واقعية تقود خطا الإنسان على أرض الله بما يريد الله فلا يكون مستعبدا لأهوائه من جهة، ولا يكون جبارا قاهرا لخلق الله من جهة أخرى، وإنما يكون إنسانا مكرما ـ كما أراده الله ـ تتمثل فيه قيم الصدق، والعدل، والأمانة، والعفة، والرحمة، والشورى، والحرية ...إلخ

وعلى العلمانيين أن يفهموا علم أسباب النزول كما فهمته العقول الإسلامية الجبارة في رعيلها الأول، وليس في ذلك قيد على حرية تفكيرهم كما يدعون، وإنما هو تصحيح وتصويب للفكر إذا أصابه الخلل، أو تناوشه العطب.

ولا نريد أن نستطرد في الرد على هذه الإشكالية وقد سقطت من حيث هدفها، ومن حيث واقعها، فأما هدفها فهو النيل من قدسية القرآن الكريم، وأما من ناحية واقعها فقد ثبت بالواقع العددي الإحصائي أنها لا تقوم على أساس.

وبعد عرض هذين الاتجاهين في فهم الإشكاليات التي تحيط بعلم أسباب النزول؛ وجب علينا أن نتناول في المبحث الثاني عرضا لهذه الإشكالات من وجهة نظر علماء المسلمين بشيء من التحليل والتفصيل والتمثيل، وسيكون ذلك بعرض هذه الإشكالات حول التعريف، ثم نتبعه بمبحث ثالث نتناول فيه إشكالات التطبيق من خلال الجزء الثامن والعشرين: قد سمع الله قول التي تجادلك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ المبحث الثاني: إشكالات التسمية والتعريف؛ عرض وتحليل.

◈ الإشكال الأول: إشكال التسمية.

أي الاسمين أقرب إلى طبيعة ومكونات علم أسباب النزول: " أسباب النزول" أم "مناسبات النزول"؟

◊ أسباب النزول لغة:

جاء في " العين " للخليل بن أحمد " ت ١٧٠ هـ": " والسَّبَبُ: سَبَبُ الأمر الذي يُوصَل به، وكلُّ فصلٍ يوصَلُ بشيءٍ فهو سَبَبُ. والسَّبَبُ: الطريق لأنّك تصِلُ به الى ما تُريد."[١]

وبعده يقول الجوهري " ت ٣٩٣ هـ ": " والسبب: الحَبْلُ. والسبب أيضا: كل شئ يتوصل به إلى غيره. والسَبَبُ اعْتِلاقُ قَرابَةٍ. وأسبابُ السماءِ: نواحيها في قول الأعشى:

لئن كنت في جب ثمانين قامة*** وَرُقّيتَ أَسبابَ السَماءِ بسُلَّمِ

والله مُسَبِّبُ الأسباب، ومنه التسبيب"[٢]

فمن الناحية اللغوية "السبب" هو الوسيلة التي يتوسل بها إلى الشيء، ولذلك يقولون: " للحبل الذي يصعد به النّخل سبب، وجمعه أَسْبَابٌ، قال تعالى: ﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِي ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾ [سورة ص:١٠].

وسمّي كلّ ما يتوصّل به إلى شيء سَبَباً، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝٨٤﴾ ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٥﴾ [سورة الكهف: ٨٤، ٨٥].

---

(١) راجع كتاب العين ٢٠٤/٧. الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠ هـ). تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي . دار ومكتبة الهلال

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية١/١٤٥ إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣ هـ) . تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين – بيروت ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومعناه: أنّ الله تعالى آتاه من كلّ شيء معرفة، وذريعة يتوصّل بها، فأتبع واحدا من تلك الأسباب، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة غافر:٣٦، ٣٧]، أي: لعلّي أعرف الذرائع والأسباب الحادثة في السماء، فأتوصّل بها إلى معرفة ما يدعيه موسى...)[١]

وهكذا قال ابن منظور أيضا في لسان العرب: " والسَّبَبُ: كلُّ شيءٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إلى غَيْرِهِ؛ ...وهو كلُّ شيءٍ يُتَوَسَّل بِهِ إلى شيءٍ غيرِه، وَقَدْ تَسَبَّبَ إِليه، والجمعُ أَسْبابٌ؛ ... وجَعَلْتُ فُلاناً لِي سَبَباً إِلى فُلانٍ فِي حاجَتي، وَوَدَجاً أَي وُصْلة وذَرِيعَة. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ}

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: المودّةُ. وَقَالَ مجاهدٌ: تواصُلُهم فِي الدُّنْيا. وَاللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، مُسَبِّبُ الأَسْبابِ، وَمِنْهُ التَّسْبِيبُ. والسَّبَبُ: اعْتِلاقُ قَرابة. وأَسبابُ السَّماءِ: مَراقِيها؛ قَالَ زُهَيْرٌ:

ومَن هابَ أَسبابَ المَنِيَّةِ يَلْقَها، ... وَلَوْ رَامَ أَسبابَ السماءِ بسُلَّم

. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ أَسْبابَ السَّماواتِ}؛ قَالَ: هِيَ أَبوابُها. وارْتَقَى فِي الأَسبابِ إِذا كَانَ فاضِل الدِّينِ. والسِّبُّ: الحَبْلُ... وجَمْع السِّبِّ أَسبابٌ. والسَّبَبُ: الحَبْلُ كالسِّبِّ، وَالْجَمْعُ كَالْجَمْعِ، والسُّبوبُ: الحِبال ... وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ...}

. مَعْنَاهُ: مَنْ كَانَ يَظُنّ أَن لَنْ يَنْصُرَ اللهُ، سُبْحَانَهُ، مُحَمَّدًا، ﷺ، حَتَّى يُظْهِرَه عَلَى الدِّينِ كلِّه، فلْيَمُتْ غيظاً، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ..."[٢]

و"النزول" من نزل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩﴾ [سورة السجدة:١٩].

---

(١) المفردات في غريب القرآن ٣٩١/١. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢ هـ) . المحقق: صفوان عدنان الداودي . دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

(٢) لسان العرب ٤٥٨/١. جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١ هـ) دار صادر – بيروت . الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فـ "نَزَل بهم وعليهم: حَلّ. والمنزِل –بكسر الزاي: الدار موضعُ النزول.

والمعنى المحوري انحدارٌ أو انفصال وخلوص إلى مقر أو حيّز يوجد فيه بقوة. (فالوجود معنى لزومي هنا) – كالنزول في المنزل...

فمن ذلك إنزال القرآن، والملائكة، والماء، والرحمة، والعذاب، وما بمعنى كل منها. وأفعال النزول، والتنزيل، والإنزال، وما اشتق منها واضحة يتحقق فيها معنى الهبوط إلى مقر..."(١)

فإذا جمعنا بين الكلمتين فالمعنى: هي الوسائل التي من خلالها نتعرف على أسباب نزول " هبوط " الآيات القرآنية من السماء إلى الأرض على رسول الله ﷺ

ومما أثاره بعض العلماء من إشكالات أن المفسرين قد يعبرون عن مصطلح " سبب النزول " بمصطلحات أخرى كأن يقول: " مناسبة النزول " كذا، أو يقول: " قصة الآية" كذا.

وقد حدا هذا التوسع في استعمال الاسم أن يرى هؤلاء العلماء أن استخدام مسمى "مناسبة النزول" أولى في التعبير وأدق في الاستخدام من مسمى " أسباب النزول " في الدلالة على علم أسباب نزول الآيات القرآنية؛ لأنها " مناسبة أسباب النزول " لا تثير في ذهن السامع التساؤل القديم المتجدد هل كل آية في القرآن الكريم لها سبب نزول؟ وهل كانت الأسباب أسبق من الآيات حتى تكون سببا لنزولها فلو لم تقع هذه الأسباب ما نزلت الآيات؟ أم أن الأمر على غير ذلك فنزول القرآن الكريم لا يرتبط بأسباب وقد أشبعنا هذه المسألة بحثا في الرد على العلمانيين في السطور السابقة.

ورؤيتهم في إطلاق اسم" مناسبة النزول " وقولهم إنه أدق تعبيرا وتمثيلا لمفردات علم أسباب النزول ومكوناته من الاسم المعروف المتداول: " أسباب النزول" يعنى أن الاسمين في حاجة إلى تحرير دقيق يستقرأ فيه الباحث معنى لفظ "السبب " واستخدامه، ومساره التاريخي، ومعنى لفظ " المناسبة" واستخدامه ومساره التاريخي.

---

(١) مختصر من المعجم الاشتقاقي للدكتور محمد حسن جبل ٤/ ٢١٨٠ . مكتبة الآداب . القاهرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفى السطور السابقة نقلنا أقوال أبرز اللغويين في بيان معنى لفظ " سبب " وبينا أنه ما يتوصل . أو يتوسل . به إلى فعل الشيء أو إلى الشيء ذاته، وهو بهذا أقرب في معناه، ودلالته إلى مكونات علم أسباب النزول الذي يعنى: "التساؤلات، والأحداث التي نزلت بسببها آية أو آيات قرآنية..."، (وسنتحدث بعد سطور عن هذا التعريف تفصيلا) كما أن الصحابة أنفسهم قد أشاروا إلى ذلك فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قوله: "والذي لا إله غيره، ما نزلتْ آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلتْ؟ وأينَ أنزلت؟ ولو أعلم مكانَ أحدٍ أعلمَ بكتاب الله مِنّي تنالُه المطايا لأتيته".(١)

ففي قول ابن مسعود رضى الله عنه "فيم نزلت" إشارة واضحة إلى سبب نزول الآية أو الآيات.

وكذلك نرى في قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [سورة البقرة:٢٢٠].

ما أخرجه الطبري عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة الأنعام:١٥٢]. [والإسراء: ٣٤] عزلوا أموال اليتامى، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت:" وإن تخالطوهم فإخوانكم، والله يعلمَ المفسدَ من المصْلح، ولو شاء الله لأعنتكم"، فخالطوهم."(٢)

وعن قتادة قال: لما نزلت: (وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، اعتزل الناس اليتامى فلم يخالطوهم في مأكل ولا مشرب ولا مال، قال: فشق ذلك على

---

(١) الأثر صحيح، أخرجه البخاري، انظر فتح الباري ٩: ٤٥-٤٦، ولفظه "تبلغه الإبل لركبت إليه". وراجع: جامع البيان في تفسير القرآن للطبرى ١/٨٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢: ٢٧٨ مطولا، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الناس، فسألوا رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﷻ:" ويسألونك عن اليتامى قُل إصلاحٌ لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم".[١]

وأما "المناسبة" في اللغة فتعنى المشابهة: والمشاكلة والمقاربة[٢]، ومنه النسيب: القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه، ممن بينهم مناسبة أي رابطة تربط بينهم وهي القرابة، وعند الأصوليين: المناسبة في العلة في باب القياس، وهي الوصف المقارب للحكم لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم[٣]، وعند البلغاء: التناسب الترتيب للمعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر[٤] وفي اصطلاح المفسرين: عرفها ابن العربي في كتابه سراج المريدين: بأنها: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحد ة متسقة المعاني منتظمة المباني"[٥] وعرفها الزركشي في البرهان بأنها: أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول.[٦] فعلم المناسبة علم يعنى بإبراز أوجه الصلة وتناسب الآيات والسور."

وعلم المناسبة أو المناسبات في القرآن الكريم من العلوم التي اختلف حولها العلماء وجودا وعدما، فقد خالف الشوكاني جمهور القائلين بوجود المناسبة بين آيات القرآن الكريم وسوره فنفى وجود مناسبات بين آيات القرآن وسوره؛ معللا ذلك بأن نزول القرآن الكريم في أزمان مختلفة بلغ ثلاثة وعشرين عاما، وإن نزل على أسباب مختلفة ورد عليه كثير من العلماء قديما وحديثا[٧] وقد لاحظت في خلاف العلماء

---

(١) جامع البيان للطبري ٣٤٩/٤.

(٢) يراجع معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣٢٤/٥، والصحاح ٤٢٢/١.

(٣) يراجع أصول الفقه لأبي زهرة ص ٢٤١ ط دار الفكر العربي.

(٤) يراجع المعجم المفصل في علوم البلاغة جمع وترتيب د. إنعام عكاوي ضمن سلسلة الخزانة اللغوية ٦ /٤٣٠ ط دار الكتب العلمية.

(٥) سراج المريدين للقاضي أبي بكر ابن العربي نقلا عن الإتقان ٢ / ١٠٨

(٦) البرهان في علوم القرآن ١ /٣٦ نقلا عن " موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات (بحث محكم بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٤٢٥ هـ) المؤلف: أحمد بن محمد الشرقاوي سالم.

(٧) راجع رد الدكتور أحمد الشرقاوي عليه في " موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات (بحث محكم بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٤٢٥ هـ) المؤلف: أحمد بن محمد الشرقاوي سالم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حول علم المناسبات تعرضهم لمسألة أسباب النزول، يقول العز بن عبد السلام "ت٦٦٠ هـ" :" المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم **يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر، قال ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة** وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض **مع اختلاف العلل والأسباب،** كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها انتهى ".[١]

فالعز بن عبد السلام رحمه الله يرى التوسط في القول بالتناسب بين الآيات القرآنية وعدم التكلف في ذلك معللا ذلك بنزول القرآن في زمن طويل وأسباب مختلفة؛ وإشارته هنا إلى الأسباب المختلفة تشير إلى دور وأثر علم أسباب النزول في العلوم الأخرى قبولا ورفضا ووجودا وعدما، كما أن علم أسباب النزول لا يمكن تسميته مناسبة النزول، **منعا لالتباس والاختلاط بين العلوم.**

وربما لاح للعلامة الفراهي شيئا من العلاقة بين علم أسباب النزول وعلم المناسبات في القرآن الكريم فقال: (ليس المراد من سبب النزول ما لأجله نزل الوحي. إنما هو شأن الناس وأمرهم والحالات والواقعات التي بينها وبين ما نزل نسبة وهذا هو معنى السبب في الصحيح من كلام العرب. ولذلك كانت القدماء يذكرون كل ما يتعلق بمضمون الآية، ولكن المتأخرين لم يفهموا منه إلا معناه المولد فضاق عندهم فحواه)[٢]

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٧/١.

(٢) مقال عبد الرحمن الشهر، موقع الألوكة، تاريخ الإضافة: ٢٠١٠/١٠/٢٩ ميلادي – ١٤٣١/١١/٢١ هجري.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

◊ **وأما من الناحية الاصطلاحية:**

فأسباب النزول كما يراها جمهور العلماء هي :(الحوادث، أو التساؤلات التي كانت سببا في نزول آية أو آيات قرآنية في زمن نزول القرآن الكريم، وكان محتوى هذه الحوادث وتلك التساؤلات متفق مع معانى الآيات القرآنية ومقاصدها، و صحيحة الإسناد).[١]

◊ **مناقشة إشكاليات التعريف في معناه الاصطلاحي:**

الإشكال الثاني: التوافق بين سبب النزول ومعنى الآية، أو الآيات:

جاء في التعريف قولهم عن أسباب النزول: إنها الحوادث والتساؤلات، وهي تعني أحوال الناس الذين نزل عليهم أو بشأنهم القرآن الكريم، "أي بيئة النص البشرية والزمانية والمكانية، وهى تعني واقع حال الذين تنزلت عليهم الآيات القرآنية لتعليمهم وتوجيههم وتربيتهم، وتصور بيئتهم العامة، ومفاهيمهم التي كانت سائدة بينهم.

كما تعني الحالة النفسية والفكرية والاجتماعية التي كانوا عليها حين نزول القرآن، وتعني تصور الظرفين الزماني والمكاني اللذين أنزلت الآية أو الآيات فيهما، فهناك تنوع كبير في حال المجتمع الذي نزل فيه النص القرآني وما دار فيه من حالات السلم والحرب، والأمن والخوف، وسعة الرزق والجوع، والنصر والهزيمة، والإيمان والكفر والنفاق، والطمع واليأس، والمسرة والحزن، والصفاء والكدر، فكل هذه وغيرها من أحوال إنسانية ينتج عنها أحداث، وتساؤلات تحتاج إلى بيان وإيضاح، وتوجيه وتربية بالآيات القرآنية التي تتنزل على رسول الله ﷺ منجمة أي مفرقة تتناسب مع هذه الأحوال، وتختلف بذلك عن أحوال ومقتضيات في أعصار وأماكن أخرى، والنص المقدس النازل من السماء قد راعى كل هذه الاختلافات زمانا ومكانا، عموما وخصوصا".[٢]

---

(١) هذا التعريف استقيناه من تعاريف عدد من العلماء.

(٢) قواعد التدبر د/ حسن حبنكة ص، ٢٣ بتصرف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كما أن مراعاة الظرفين الزماني والمكاني في ارتباط أسباب النزول بالآيات القرآنية من الأهمية بمكان، فلا شك أن بعض الآيات التي نزلت بمكة قبل الهجرة كانت لها أسباب تختلف عن الأسباب التي ترتبط بآيات نزلت في المدينة بعد الهجرة. فحادثة أبي لهب التي حدثت في مكة قبل الهجرة، وكانت سببا في نزول بعض آيات سورة " المسد"(١) تختلف زمانا ومكانا عن حادثة ابن سلول المنافق التي حدثت في المدينة، وكانت سببا في نزول بعض آيات سورة " المنافقون"(٢) وكذلك سؤال المسلمين للنبي ﷺ عن الأنفال بعد غزوة بدر في المدينة، الذي كان سببا في نزول آيات صدر سورة الأنفال(٣)، يختلف زمانا ومكانا عن سؤال الوليد بن المغيرة عن القرآن الكريم في مكة

(١) ورد ذلك في صحيح البخاري عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما-: (صَعِدَ النبيُّ -ﷺ- الصَّفَا ذَاتَ يَومٍ، فَقالَ: يا صَبَاحَاهْ، فَاجْتَمعتْ إلَيْهِ قُرَيْشٌ، قالوا: ما لَكَ؟ قالَ: أرَأَيْتُمْ لو أخْبَرْتُكُمْ أنَّ العَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أوْ يُمَسِّيكُمْ، أما كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قالوا: بَلَى، قالَ: فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقالَ أبو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، ألِهذا جَمَعْتَنَا؟ فأنْزَلَ اللَّهُ: {تَبَّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ}). رواه البخاري، في صحيحه، عن عبدالله بن عباس، الصفحة أو الرقم:٤٨٠١، حديث صحيح.

(٢) راجع أسباب النزول "سورة المنافقون" في أسباب النزول للواحدي: أبى الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، كتاب أسباب النزول ت زغلول، صفحة ٤٥٠-٤٥١. بتصرّف.

(٣) روى أبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: ((من قتل قتيلاً فله كذا وكذا))، فأما المشيخة فثَبَتُوا تحت الرايات، وأما الشُّبَّان فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقالت المشيخة للشبان: أشرِكُونا معكم؛ فإنا كنا لكم رِدْءًا، ولو كان منكم شيء للجأتم إلينا، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فنزلت :﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾]الأنفال: ١]، وروى أحمد عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما كان يوم بدر قُتِلَ أخي عُمَير، فقَتَلْتُ به سعيد بن العاص، وأخذتُ سيفه فأتيت به النبي ﷺ، فقال: ((اذهَبْ فاطرَحْه في القَبَض))، فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله مِنْ قَتْل أخي، وأخْذِ سَلَبِي، فما جاوزتُ إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال النبي ﷺ: ((اذهب فخُذْ سيفك[11]((. أسباب النزول – السيوطي، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، مكتبة الثقافة الدينية، ص ١٩٠، والحديث أخرجه مسلم والترمذي، وقال: حسن صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتسبب في نزول بعض آيات سورة المدثر.(١)

ولأن النص القرآني رباني المصدر، صادر من الله الخالق ﷻ إلى الإنسان المخلوق، فعلاقته بحال متلقيه علاقة تفاعلية فالنص يخاطب والمتلقي يسمع النص يأمر والمتلقي يطيع وينفذ، والنص ينهى والمتلقي ينتهى، والنص يرشد ويربى والمتلقي يلتزم.

ولأن النص القرآني لا يقوم خطابه على التجريد النظري الثقافي الفلسفي؛ وإنما يقوم على الخطاب الواقعي العملي السلوكي فإنه يخاطب كل ما في الإنسان من ملكات روحية وفكرية وعقلية، وجسدية ومادية ...إلخ.

ومن هنا كان لأسباب نزول بعض آيات النص القرآن الكريم علاقة وثيقة بمقتضيات الخطاب، وترتب على ذلك أن فهم هذا البعض من الآيات، اعتمد على معرفة أسباب نزولها، بل صارت مدخلا تفسيريا لها.

وربما كان كلام الشاطبي في ذلك دليلا على نفاذ بصيرته إلى هذه المسائل الدقيقة في بيان مفهوم أسباب النزول في معناه الاصطلاحي، إذ يقول: (إن علم الْمعَانِي وَالْبَيَان الَّذِي يعرف بِهِ إعجاز نظم الْقُرْآن فضلا عَن معرفَة مَقَاصِد كَلَام الْعَرَب - إِنَّمَا مَدَاره على معرفَة مقتضيات الْأَحْوَال، حَال الْخطاب من جِهَة نفس الْخطاب، أَو المخاطِب، أَو المخاطَب، أَو الْجَمِيع؛ إِذْ الْكَلَام الْوَاحِد يخْتَلف فهمه بِحَسب حَالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذَلِك كالاستفهام: لَفظه وَاحِد،

---

(١) المدثر - 1168وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي -ﷺ- فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتتعرض لما قبله قال لقد علمت قريش أني من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له وأنك كاره له فقال وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمنير أعلاه مشرق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ،قال فدعني حتى أفكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت ذرني ومن خلقت وحيدا. إسناده صحيح على شرط البخاري، ص: ٢٥٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويدخله معَان أُخر من تَقْرِير وتوبيخ وَغير ذَلِك. وكالأمر: يدْخلهُ معنى الْإِبَاحَة والتهديد والتعجيز وأشباهها، وَلَا يدل على مَعْنَاهَا المُرَاد إِلَّا الْأُمُور الْخَارِجَة، **وعمدتها مقتضيات الْأَحْوَال ... وَمَعْرِفَة الْأَسْبَاب رافعةٌ لكل مُشكل فِي هَذَا النمط، فَهِيَ من الْمُهِمَّات فِي فهم الْكتاب....)**(١)

وهكذا ربط الشاطبي بين " مقتضيات الْأَحْوَال حَال الْخطاب من جِهَة نفس الْخطاب، أَو المخاطِب، أَو المخاطَب" التي هي الحوادث والتساؤلات، وبين أسباب نزول الآيات، فصارت مفتاحا لفهم الآيات فهما صحيحا. وبهذا الفهم ربط الشاطبي أيضا بين معاني الآيات وما تحويه من أحكام، أو أفكار، أو تصورات، أو ملامح بلاغية في تراكيبها وجملها، وبين سبب النزول الذي يمكن أن يكون وسيلة رئيسة لتفسيرها.

وعليه فمضمون سبب النزول لابد أن يتساوق، أي يتوافق مع مضمون الآية، وإلا فإن كان مضمون الآيات لا يتوافق مع مضمون سبب النزول كان هذا أول مطعن في صحة هذا السبب، وعدم قبوله. وسيتضح ذلك بصورة أكثر في مبحث التطبيق إن شاء الله. ويلحق بهذا الأمر أيضا ما أطلق عليه المفسرون قصة الآية. فهل تدخل قصة الآية في سبب نزولها؟ أم نقتصر على السؤال والحادثة التي أدت إلى سببها؟

وفي رأيي أن قصة الآية أو الآيات غير سبب نزولها، وأن ذكر عبارة " قصة الآية" في تعريف بعض العلماء لسبب النزول إنما هو من باب التوسع، أو من باب التفسير للآية أو للآيات؛ فقصة موسى مع الخضر عليهما السلام ورد تفسير بعض أجزائها حديث نبوي صحيح(٢)

---

(١) الموافقات ١/ ٤٠ لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠ هـ) . المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ـ دار ابن عفان . الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م

(٢) راجع صحيح البخاري وأورده الطبري والبغوي وغيرهما في سياق تفسيرهما للآيات ولم يذكراه كسبب لنزول آياتها. وراجع تفسير الطبري ١٨/ ٥٥ـ ٨٨، و (تفسير البغوي ٥/١٨٣ـ ١٩٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وجاء في قصة المجادلة في تفسير البقاعي ما يلي: (وروى الحاكم والبيهقي من طريق محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وأبي سلمة بن عبد الرحمن «أن سلمة بن صخر البياضي ﷺ جعل امرأته عليه كظهر أنه إن غشيها حتى يمضي رمضان، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: اعتق رقبة» **وقصة سلمة هذه أصل الظهار** المؤقت، وقد دلت على أنه لا عود فيه لا كفارة عليه إلا بوطئها في مدة الظهار...)[١]

◈ الإشكال الثالث: اعتبار زمن النزول:

فأسباب النزول ـ كما سبق في تعريفها ـ هي :(الحوادث، أو التساؤلات التي كانت سببا في نزول آية أو آيات قرآنية في زمن نزول القرآن_الكريم، وكان محتوى هذه الحوادث وتلك التساؤلات متفق مع معانى الآيات القرآنية ومقاصدها، و صحيحة الإسناد) عندما قال جمهور العلماء في هذا التعريف " :(... في زمن نزول القرآن الكريم...) فإن لهذا الشرط ارتباطا بناحيتين في مفهوم سبب النزول:

◊ الناحية الأولى:

أن هذه الفترة الزمنية هي فترة نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ، وهي ثلاثة وعشرون عاما، فإن تناولت الآيات أحداثا تحكيها عن الأمم الغابرة كقوم نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وغيرهم ... فإن ماحكاه الرواة ـ المفسرون أو غيرهم ـ عن هؤلاء الأقوام من قصص تاريخية لا يدخل قطعا في أسباب النزول؛ حتى وإن قال الراوي في بداية قصته التي يحكيها عنهم: وفيهم نزل قوله تعالى كذا وكذا؛ فإنه لا يعنى آنذاك تحديد السبب، وإنما يعنى بيان مضمون الآية أو تفسيرها، أو تفسير بعض أجزائها.

وأما ما ورد من أسباب نزول في شأن اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين الذين عاصروا رسول الله ﷺ فمنهم من شارك في الأحداث بل وسأل بعضهم النبي ﷺ بعض التساؤلات؛ ولهذا فما ورد بشأن هذه الأحداث ـ كغزوة الأحزاب ومساندة اليهود للمشركين مثلا، أو كوفد نصارى نجران في تساؤلاتهم لرسول الله ﷺ عن

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٣٣٨/١٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عيسى عليه السلام فمثل هذه الأحداث معتبرة في أسباب النزول إذا صح سندها، وتوافقت مع معنى الآيات.(١)

◊ **والناحية الثانية:** كان الإشكال في اعتبار زمن سبب النزول هو اللافت لنظر السيوطي، في كتابه لباب النقول، حتى صار كلامه عن هذه المسألة جزءاً أصيلا من التعريف حيث يقول: (والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية ـ بشأنه ـ أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة فإنَّ ذلك ليس من أسباب النزول في شئ، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك، وكذلك ذكره في قوله: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) (١٢٥ـ النساء) سبب اتخاذه خليلا، فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى)(٢)

وكانت كلمة السيوطي هذه لازمة لكل من تعرض لتعريف أسباب النزول من العلماء؛ حتى أن بعضهم قصر تعريفهم عليها.

والإشكال في هذه المسألة أن كثيرا من المفسرين ذكروا في تفاسيرهم أسبابا لنزول آيات تتحدث عن الأمم الغابرة وعن أنبياهم، أو عن أحداث وقعت لهم في زمانهم، وقد أبان السيوطي رحمه الله في قوله إن ذلك لا يدخل في سبب نزول الآية، فارتفع بقوله الإشكال من الناحية النظرية؛ لكن ظلت كتب التفسير، وبخاصة القديم منها محشوة بهذه الأسباب؛ ولذا فهي في حاجة ماسة إلى جهود من الباحثين لتنقيتها.

---

(١) كسؤال اليهود عن سبب تحويل القبلة ونزل قوله تعالى: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (١٤٢)البقرة ، وحديث المباهلة كما في قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (٦١) آل عمران

(٢) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي صـ٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

◈ **الإشكال الرابع: في صيغة سبب النزول وفى محتواه.**

وهو ما أشار إليه العلماء في التعريف بقولهم: "وكان محتوى هذه الحوادث وتلك التساؤلات متفقا مع معاني الآيات القرآنية ومقاصدها..."

والمقصد من ذلك أن ننظر في سبب النزول في صياغة ألفاظه، كما ننظر في محتواه: فمن ناحية الصياغة التي ورد بها سبب النزول عن راويه .

وهو الصحابي الذي شهد حادثا، أو سأل سؤالا. فكان ذلك سببا في نزول الآية أو الآيات، هذه الصياغة لم ترد إلينا بألفاظ موحدة، فلم نجد أسباب النزول كلها تبدأ بقول الراوي: " سبب نزول الآية أو الآيات كذا، وكذا", وإنما وجدنا كثيرا منها يبدأ بقول الراوي: "حدث كذا فأنزل الله هذه الآية، أو أنزل هذه الآيات"، وأحيانا يقول الراوي بعد ذكر الحادث أو السؤال: "وفيهم نزل قول الله كذا وكذا".

ولقد أثار تعدد هذه الصيغ خلافا وإشكالا واسعا بين العلماء فمنهم من تحدث عن صيغ أسباب النزول فجعلها ركنا من أركانه، ويعنى بذلك النص في الرواية على عبارة " سبب نزول هذه الآية كذا وكذا..." ومنهم من رأى أن قول الرواة:" نزلت الآية في كذا ..." لا يعد صيغة صريحة في بيان السبب وإنما قد يكون سببا، وقد يكون بيانا لمعنى الآية أو لبعض معانيها. وعليه فلا يعد سببا.

يقول ابن تيمية: " قولهم أنزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية، وإن لم يكن السبب، كما نقول عنى بهذه الآية كذا"(١)

وقال الزركشيّ في البرهان: " قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها. فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع".(٢)

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية صـ١٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢٢/١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعلى هذا يجب علينا الاحتراز والتدقيق في قبول أسباب النزول، وذلك بأن نعتمد الصيغة الصريحة في النص على السببية، وهى قول الراوي: سبب نزول الآية أو الآيات كذا، أو قوله: حدث كذا ـ يقصد أحداثا وقعت في زمن رسول الله ﷺ ـ فنزلت هذه الآية أو هذه الآيات، وأما قول الراوي: هذه الآية نزلت في بيان حكم الغنائم، أو الطلاق، أو الظهار... إلخ، فهذا وأمثاله ليس من أسباب النزول، وكلامه في مثل هذا لم يرد به بيان السبب؛ وإنما أراد أن يقدم إضاءات حول الآية القرآنية تساعد في فهم معناها وبيان مقاصدها. والإشكال هنا أن كثيرا مِن المطالعين في كتب التفسير لا يستطيع التمييز بين مراد الراوي في النص على السببية، أو التوضيح والتبيين لمعنى الآية أو الآيات.

◈ **الإشكال الخامس: في قاعدة "عموم اللفظ وخصوص السبب".**

هناك عدد من العلوم المشتركة بين علم التفسير وعلم أصول الفقه ك: " الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه، الحقيقة والمجاز، الظاهر والمؤول، المجمل والمبين، العام والخاص، المطلق والمقيد، المنطوق والمفهوم"

وقاعدة: عموم اللفظ وخصوص السبب عند علماء الأصول من مباحث: "العام والخاص"، وهي في علم التفسير تتصل اتصالا مباشرا بمحتوى سبب النزول ومضمونه، وهي ـ وإن كانت معروفة عند علماء الأصول؛ لأنهم أكثر اتكاء عليها واعتمادا لها في أبحاثهم، فإنها عند المفسرين كذلك؛ فمعلوم عند المفسرين أن أحكام القرآن الكريم تتناول في معظمها الأحوال ولا تختص بالأفراد إلا نادرا، كأنْ تتحدث عن خصوصية للنبي ﷺ أو بعض أزواجه، كمسألة تظاهرهن عليه مثلا، وحتى هذه قد تنازع العلماء بشأن خصوصيتها"(١)

وفى هذا الصدد يقول **الشيخ عبدالوهاب خلاف رحمه الله** ـ وهو من علماء الأصول المعاصرين ـ"إذا ورد النص الشرعي بصيغة عامة، وجب العمل بعمومه الذي دلت عليه صيغته، ولا اعتبار لخصوص السبب الذي ورد الحكم بناءً عليه، سواءٌ كان السبب سؤالاً أم واقعة حدثت؛ لأن الواجب على الناس اتباعُه، هو ما ورد

(١) المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه وأثرها في التفسير د/ فهد الوهبي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

به نص الشارع، وقد ورد نص الشارع بصيغة العموم، فيجب العمل بعمومه، ولا يعتبر خصوصيات السؤال أو الواقعة التي ورد النص بناءً عليها؛ لأن عدول الشارع في نص جوابه أو فتواه عن الخصوصيات إلى التعبير بصيغة العموم، قرينةٌ على عدم اعتباره تلك الخصوصيات).(١)

ففي قوله تعالى :﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾]النحل: ١٢٦]، الآية نزلت بالمدينة في شهداء أُحد؛ وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحد؛ من تبقير البطون، والمُثْلة السيئة، حتى لم يبقَ أحَد من قتلى المسلمين إلا مُثِّل به ... فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لئن أظهَرَنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم، ولنُمثِّلنَّ بهم مُثلةً لم يفعلها أحَد من العرب بأحَد)(2)

فالآية الكريمة تنهى عن المثلة، وهى وإن نزلت في شهداء أُحد، لكنها عامة فيمن أراد القِصاص؛ فالقِصاص بالمِثل ولا زيادة، والتجاوز عن القِصاص بالمِثل، والعفو خير وأبقى، وهنا نطبق القاعدة الأصولية: العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

والحقيقة أن هذه القاعدة الأصولية نراها في كتب المفسرين جميعا دون استثناء فقد، أشار إليها الطبري "ت ٣١٠ هـ" رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره في حديثه عن بقاء الأخبار الواردة في القرآن الكريم على عمومها، يقول الشيخ مساعد الطيار:(الخبر على عمومه حتى يأتي ما يخصصه، هذه القاعدة من أكثر القواعد التي اعتمدها الطبري في ترجيحاته بين الأقوال .ومن أمثلة ترجيحاته المعتمدة على العموم في قوله تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ [الذاريات: ٢٢] ذكر في معنى "وما توعدون" قولين عن السلف، الأول: الخير والشر. **والثاني:** الجنة والنار ثمَّ قال: وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول الذي قاله. مجاهد لأن الله عَمَّ الخَبَرَ بقوله "وما توعدون" عن كل ما وعدنا من خير أو شر، ولم يخصص بذلك بعضا دون بعض، فهو على عمومه كما عمَّه الله جل ثناؤه.(٣)

---

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ١٨٩.

(2) تفسير البغوي ٣/ ١٠٣.

(٣) راجع نظرات في علوم القرآن للشيخ مساعد الطيار " ملتقى أهل التفسير".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإذا نظرت في تفسير السلف وجدت أن أسلوب التمثيل للفظ العام كثيرٌ جدًّا في التفسير، بل قد يكون أكثر من تخصيص اللفظ العام).[١]

والإشكال هنا أن بعض المفسرين يجعل معنى الآية قاصرا أو خاصا على السبب الذي فيه، أو من أجله أنزلت، والأولى أن يُعمل هذه القاعدة، ولهذا فهي من القواعد التي لاتزال تحتاج إلى مزيد بحث في مجال التفسير لا في كتب الأصول، وإنما أردنا أن نلقى عليها الضوء بما يتناسب مع سياق التعريف في بحثنا هذا.

◈ الإشكال السادس في صحة إسناد الأسباب:

وأما قول جمهور العلماء في تعريفهم لأسباب النزول: " وتكون صحيحة الإسناد..." فإن ذلك شرط يبعد بنا عن قبول الروايات الضعيفة، أو المكذوبة، أو المدسوسة لأسباب دينية، أو سياسية، أو غيرها، والتي يسوقها بعض المفسرين تمشيا مع ثقافة عصرهم وظروفه. وللعلماء في هذه المسألة رأى واضح جلى فقد نص الواحدي على ذلك بقوله :(وَلَا يَحِلُّ الْقَوْلُ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ الْكِتَابِ، إِلَّا بِالرِّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ مِمَّنْ شَاهَدُوا التَّنْزِيلَ وَوَقَفُوا عَلَى الْأَسْبَابِ، وَبَحَثُوا عَنْ عِلْمِهَا وَجَدُّوا فِي الطِّلَابِ. وَقَدْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِالْوَعِيدِ لِلْجَاهِلِ ذِي الْعِثَارِ، فِي هَذَا الْعِلْمِ بِالنَّارِ. فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَى الْقُرْآنِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٢]

وَالسَّلَفُ الْمَاضُونَ رحمهم الله كَانُوا فِي أَبْعَدِ الْغَايَةِ احْتِرَازًا عَنِ الْقَوْلِ فِي نُزُولِ الْآيَةِ... فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: سَأَلْتُ عُبَيْدَةَ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَقُلْ سَدَادًا،

---

(١) تفسير الطبري، ط : الحلبي (٢٦ : ٢٠٦).

(٢) هذا الحديث ورد بلفظ آخر عن المغيرة بن شعبة قال: (سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: إنَّ كَذِبًا عَلَيَّ ليسَ كَكَذِبٍ على أَحَدٍ، مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: مَن نِيحَ عليه يُعَذَّبُ بما نِيحَ عليه.) أخرجه البخاري في صحيحه رقم " ١٢٩١"وأما هذا الحديث الذي ذكره الواحدي في مقدمته قال عنه محقق الكتاب :(إسناده ضعيف: في إسناده عبد الأعلى بن عامر الثعلبي ضعيف ذكره ابن حبان في المجروحين [٢/ ١٥٥] والحديث أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٩٣، ٣٢٣) والطبراني في الكبير [ج ١٢/ ٣٥- رقم ١٢٣٩٣] والترمذي (٢٩٥١) كلهم من طريق أبي عوانة به وقال الترمذي حسن وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٤٧) وقال: فيه عبد الأعلى والأكثر على تضعيفه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ذَهَبَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ فِيمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ. وَأَمَّا الْيَوْمُ فَكُلُّ أَحَدٍ يَخْتَرِعُ شَيْئًا وَيَخْتَلِقُ إِفْكًا وَكَذِبًا. مُلْقِيًا زِمَامَهُ إِلَى الْجَهَالَةِ، غَيْرَ مُفَكِّرٍ فِي الْوَعِيدِ لِلْجَاهِلِ بِسَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ. وَذَلِكَ الَّذِي حَدَا بِي إِلَى إِمْلَاءِ هَذَا الْكِتَابِ، الْجَامِعِ لِلْأَسْبَابِ، لِيَنْتَهِيَ إِلَيْهِ طَالِبُوا هَذَا الشَّأْنِ وَالْمُتَكَلِّمُونَ فِي نُزُولِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَيَعْرِفُوا الصِّدْقَ، وَيَسْتَغْنُوا عَنِ التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبِ، وَيَجِدُّوا فِي تَحَفُّظِهِ بَعْدَ السَّمَاعِ وَالطَّلَبِ.)(١)

فانظر كيف كان كلام الواحدي واضحا وقاطعا في هذه المسألة، وكيف ألقى باللائمة على أبناء عصره ممن تساهلوا في قبول أسباب النزول الضعيفة. وربما كان هذا سببا في تعقبه فيما رواه في كتابه من أسباب للنزول والإشارة إلى ضعف بعض أسانيدها كما سنرى بعد حين.

وقد أشار الزركشي إلى ضرورة صحة إسناد سبب النزول بقوله: "وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ يَجْعَلُونَ هَذَا مِنَ الْمَرْفُوعِ الْمُسْنَدِ كَمَا فِي قَوْلِ ابْنِ عُمَرَ فِي قوله تعالى {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (٢٢٣) البقرة. وَأَمَّا الْإِمَامُ أَحْمَدُ فَلَمْ يُدْخِلْهُ فِي الْمُسْنَدِ وَكَذَلِكَ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ وَجَعَلُوا هَذَا مِمَّا يُقَالُ بِالِاسْتِدْلَالِ وَبِالتَّأْوِيلِ فَهُوَ مِنْ جِنْسِ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى الْحُكْمِ بِالْآيَةِ لَا مِنْ جِنْسِ النَّقْلِ لِمَا وقع..."(٢)

وقد زاد السيوطي هذه المسألة وضوحا فبسط فيها القول ذاكرا في نهاية كلامه كلام الزركشي أيضا فقال:" وقال الحاكم في علوم الحديث: إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند ومشى على هذا ابن الصلاح وغيره، ومثلوه بما أخرجه مسلم عن جابر قال كانت اليهود تقول من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فأنزل الله "نساؤكم حرث لكم" الآية وقال ابن تيميه: وقد تنازع العلماء في قول الصحابي "نزلت هذه الآية في كذا" هل يجري مجرى المسند؟ كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند فالبخاري يدخله في المسند وغيره لا يدخله فيه وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره بخلاف ما إذا ذكر سببا نزلت

---

(١) أسباب النزول مقدمة الكتاب صـ١١.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/٢٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عقبه فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند. وقال الزركشي في البرهان قد عرف من عادة الصحابة والتابعين... إلخ)(١)

فحديث هؤلاء العلماء هنا عن مسألة الإسناد تدل دلالة واضحة على أن سبب النزول لا يقبل إلا إذا كان مسندا صحيح الإسناد، فكلهم لا يقبل الرواية الضعيفة أو المكذوبة سواء كانت سبب نزول أو غيره.

وتبين أيضا هذا الإشكال الكبير الذي نواجهه في كتب التفسير القديمة، بل وبعض الكتب الحديثة من الاعتماد على أسباب نزول ضعيفة أو ساقطة الإسناد، وقديما نبه العلماء إلى هذا الإشكال، فكان من أبرزهم ابن حجر رحمه الله في مقدمة كتابه "العجاب في معرفة الأسباب" الذي قدم بيانا مهما في الاهتمام بإسناد سبب النزول، وعدم قبول إلا ما صح منه سندا، حتى عاب على الواحدي قبوله لأسباب نزول واهية السند فقال: " فوجدته –رحمه الله يقصد الواحدي – قد وقع فيما عاب، من إيراد كثير من ذلك يقصد أسباب النزول ـ بغير إسناد مع تصريحه بالمنع إلا فيما كان بالرواية والسماع، ثم فيما أورده بالرواية والسماع ما لا يثبت لوهاء بعض رواته...ثم يقول : ثم إن ظاهر كلامه أنه استوعب ما تصدى له، وقد فاته منه شيء كثير، فلما رأيت الناس عكفوا على كتابه وسلموا له الاستبداد بهذا الفن من فحوى خطابه تتبعت مع –تلخيص كلامه– ما فاته محذوف الأسانيد غالبا، لكن مع بيان حال ذلك الحديث من الصحة والحسن والضعف والوهاء قصد النصح للمسلمين، وذبًا عن حديث سيد المرسلين، ولا سيما فيما يتعلق بالكتاب المبين."(٢)

◈ الإشكال السابع: تعدد أسباب النزول:

وهذا الإشكال ذكره السيوطي في الاتقان فقال: (كَثِيرًا مَا يَذْكُرُ الْمُفَسِّرُونَ لِنُزُولِ الْآيَةِ أَسْبَابًا مُتَعَدِّدَةً وَطَرِيقُ الَاعْتِمَادِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُنْظَرَ إِلَى الْعِبَارَةِ الْوَاقِعَةِ فَإِنْ عَبَّرَ أَحَدُهُمْ بِقَوْلِهِ: نَزَلَتْ فِي كَذَا وَالْآخَرُ: نَزَلَتْ فِي كَذَا. وَذَكَرَ أَمْرًا آخَرَ فَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ هَذَا يُرَادُ بِهِ التَّفْسِيرُ لَا ذِكْرُ سَبَبِ النزول فلا منافاة بين قولهما إِذَا كَانَ اللَّفْظُ يَتَنَاوَلُهُمَا

(١) لباب النقول المقدمة صـ٤.

(٢) مقدمة العجاب في بيان الأسباب تحقيق عبد الحكيم الأنيس صـ ٢٠١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

... وَإِنْ عَبَّرَ وَاحِدٌ بِقَوْلِهِ نَزَلَتْ فِي كَذَا وَصَرَّحَ الْآخَرُ بِذِكْرِ سَبَبٍ خِلَافِهِ فَهُوَ الْمُعْتَمَدُ وذاك استنباط، فالسيوطي يجعل حضور الصحابي ومشاهدته للحادث الذي تسبب في نزول الآية مرجحا للقبول، ودلل على ذلك بما أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: (أُنْزِلَتْ {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ} فِي إِتْيَانِ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ. وَتَقَدَّمَ عَنْ جَابِرٍ التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ سَبَبٍ خِلَافِهِ فَالْمُعْتَمَدُ حَدِيثُ جَابِرٍ لِأَنَّهُ نَقْلٌ وَقَوْلُ ابْنِ عُمَرَ اسْتِنْبَاطٌ مِنْهُ وَقَدْ وَهِمَهُ فِيهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ جَابِرٍ كَمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ.)

وقد يرجح بين السببين بصحة إسناد أحدهما وضعف سند الآخر، ودلل على ذلك بقوله: (وَإِنَّ ذِكْرَ وَاحِدٍ سَبَبًا وَآخَرَ سَبَبًا غَيْرَهُ فَإِنْ كَانَ إِسْنَادُ أَحَدِهِمَا صَحِيحًا دُونَ الْآخَرِ فَالصَّحِيحُ الْمُعْتَمَدُ مِثَالُهُ مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا عَنْ جُنْدُبٍ:

اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ يَا مُحَمَّدُ مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَا قَدْ تَرَكَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ما مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} . وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ عَنْ أُمِّهِ عَنْ أُمِّهَا - وَكَانَتْ خَادِمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَنَّ جَرْوًا دَخَلَ بَيْتَ النَّبِيِّ ﷺ فَدَخَلَ تَحْتَ السَّرِيرِ فَمَاتَ فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ لَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فَقَالَ يَا خَوْلَةُ مَا حَدَثَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ؟ جِبْرِيلُ لَا يَأْتِينِي فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ هَيَّأْتُ الْبَيْتَ وَكَنَسْتُهُ! فَأَهْوَيْتُ بِالْمِكْنَسَةِ تَحْتَ السَّرِيرِ فَأَخْرَجْتُ الْجَرْوَ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ تَرْعَدُ لِحْيَتُهُ - وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ أَخَذَتْهُ الرِّعْدَةُ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَالضُّحَى} إِلَى قَوْلِهِ: {فَتَرْضَى}

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ: قِصَّةُ إِبْطَاءِ جِبْرِيلَ بِسَبَبِ الْجَرْوِ مَشْهُورَةٌ لَكِنَّ كَوْنَهَا سَبَبَ نُزُولِ الْآيَةِ غَرِيبٌ وَفِي إِسْنَادِهِ مَنْ لَا يُعْرَفُ فَالْمُعْتَمَدُ مَا فِي الصَّحِيحِ).[١]

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١١٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

◈ **الإشكال الثامن: تكرار النزول.**

وَقَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي الْبُرْهَانِ: قَدْ يَنْزِلُ الشَّيْءُ مَرَّتَيْنِ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ وَتَذْكِيرًا عِنْدَ حُدُوثِ سَبَبِهِ خوف نِسْيَانِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ مِنْهُ آيَةَ الرُّوحِ وَقَوْلُهُ: {وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ} الآية. قَالَ: فَإِنَّ سُورَةَ الْإِسْرَاءِ وَهُودٍ مَكِّيَّتَانِ وَسَبَبُ نُزُولِهِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا نَزَلَتَا بِالْمَدِينَةِ وَلِهَذَا أَشْكَلَ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِهِمْ. وَلَا إِشْكَالَ لِأَنَّهَا نَزَلَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ قَالَ: وَكَذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ مِنْ أَنَّهَا جَوَابٌ لِلْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ وَجَوَابٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ بالمدينة وكذلك قوله: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا} الآية قَالَ: وَالْحِكْمَةُ فِي هَذَا كُلِّهِ أَنَّهُ قَدْ يَحْدُثُ سَبَبٌ مِنْ سُؤَالٍ أَوْ حَادِثَةٍ تَقْتَضِي نُزُولَ آيَةٍ وَقَدْ نَزَلَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا يَتَضَمَّنُهَا فَيُوحِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ الْآيَةَ بِعَيْنِهَا تَذْكِيرًا لَهُمْ بِهَا وَبِأَنَّهَا تَتَضَمَّنُ هَذِهِ.)[١]

****

والسؤال الآن: كيف نتعامل مع أسباب النزول مع وجود كل هذه الإشكالات التي ذكرناها ومما خفى علينا؟

لقد كانت هذه الإشكالات وراء تقسيم أسباب النزول إلى خمسة أقسام في رأى ابن عاشور في مقدمة تفسيره " التحرير والتنوير " فقد أراد أن يختط لنفسه خطة في كيفية التعامل مع هذه الأسباب التي ملأت كتب التفسير القديمة فضلا عن الكتب المتخصصة في العلم ذاته. فقال: (وَقَدْ تَصَفَّحْتُ أَسْبَابَ النُّزُولِ الَّتِي صَحَّتْ أَسَانِيدُهَا فَوَجَدْتُهَا خَمْسَةَ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْآيَةِ يَتَوَقَّفُ فَهْمُ الْمُرَادِ مِنْهَا عَلَى عِلْمِهِ فَلَا بُدَّ مِنَ الْبَحْثِ عَنْهُ لِلْمُفَسِّرِ، وَهَذَا مِنْهُ تَفْسِيرُ مُبْهَمَاتِ الْقُرْآنِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى:(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها) [المجادلة: ١١][٢]

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/١٣٠.

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٤٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولعلك تلاحظ أن ابن عاشور قد نص في أول كلامه وقبل أن يدلج إلى تقسيم أسباب النزول على ضرورة صحة إسناد السبب؛ وهى من الإشكالات التي أشرنا إليها سابقا.

وَالثَّانِي: هُوَ حَوَادِثُ تَسَبَّبَتْ عَلَيْهَا تَشْرِيعَاتُ أَحْكَامٍ وَصُوَرُ تِلْكَ الْحَوَادِثِ لَا تُبَيِّنُ مُجْمَلًا وَلَا تُخَالِفُ مَدْلُولَ الْآيَةِ بِوَجْهِ تَخْصِيصٍ أَوْ تَعْمِيمٍ أَوْ تَقْيِيدٍ، وَلَكِنَّهَا إِذَا ذُكِرَتْ أَمْثَالُهَا وُجِدَتْ مُسَاوِيَةً لِمَدْلُولَاتِ الْآيَاتِ النَّازِلَةِ عِنْدَ حُدُوثِهَا ... مِثْلَ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ الَّذِي نَزَلَتْ عَنْهُ آيَةُ:(فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ...) [الْبَقَرَة: ١٩٦] الْآيَةَ فَقَدْ قَالَ كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ: هِيَ لِي خَاصَّةً وَلَكُمْ ...وَهَذَا الْقِسْمُ لَا يُفِيدُ الْبَحْثُ فِيهِ إِلَّا زِيَادَةَ تَفَهُّمٍ فِي مَعْنَى الْآيَةِ وَتَمْثِيلًا لِحُكْمِهَا، وَلَا يُخْشَى تَوَهُّمُ تَخْصِيصِ الْحُكْمِ بِتِلْكَ الْحَادِثَةِ، إِذْ قَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ أَوْ كَادُوا عَلَى أَنَّ سَبَبَ النُّزُولِ فِي مِثْلِ هَذَا لَا يُخَصِّصُ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ أَصْلَ التَّشْرِيعِ أَنْ لَا يَكُونَ خَاصًّا.

وفيه كما ترى إشارة إلى إشكال إعمال القاعدة الأصولية: العبرة بعموم لا بخصوص السبب.

وَالثَّالِثُ: هُوَ حَوَادِثُ تَكْثُرُ أَمْثَالُهَا تَخْتَصُّ بِشَخْصٍ وَاحِدٍ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ لِإِعْلَانِهَا وَبَيَانِ أَحْكَامِهَا وَزَجْرِ مَنْ يَرْتَكِبُهَا فَكَثِيرًا مَا تَجِدُ الْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرَهُمْ يَقُولُونَ نَزَلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنَّ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهَا تِلْكَ الْآيَةُ تِلْكَ الْحَالَةَ الْخَاصَّةَ فَكَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ التَّمْثِيلَ. فَفِي كِتَابِ الْأَيْمَانِ مِنْ «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» فِي بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا [آل عمران: ٧٧] أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ:(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا الْآيَةَ فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ: مَا حَدَّثَكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ فَقَالُوا كَذَا وَكَذَا، قَالَ فِيَّ أُنْزِلَتْ، لِي بِئْرٌ فِي أَرْضِ بن عَمٍّ لِي إِلَخْ، فَابْنُ مَسْعُودٍ جَعَلَ الْآيَةَ عَامَّةً لِأَنَّهُ جَعَلَهَا تَصْدِيقًا لِحَدِيثٍ عَامٍّ، وَالْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ ظَنَّهَا خَاصَّةً بِهِ إِذا قَالَ: «فِيَّ أُنْزِلَتْ» بِصِيغَةِ الْحَصْرِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وابن عاشور يشير هنا إلى الإشكال في تعدد صيغ النزول، ومحتواه مما أشرنا إليه سابقا كقولهم: " سبب نزول الآية كذا، أو سبب نزول الآية كذا"(١)

ويرى ابن عاشور أن هذا القسم لا فائدة من ذكره في كتب التفسير فيقول:" وَهَذَا الْقِسْمُ قَدْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ أَهْلُ الْقِصَصِ وَبَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ وَلَا فَائِدَةَ فِي ذِكْرِهِ، عَلَى أَنَّ ذِكْرَهُ قَدْ يُوهِمُ الْقَاصِرِينَ قَصْرَ الْآيَةِ عَلَى تِلْكَ الْحَادِثَةِ لِعَدَمِ ظُهُورِ الْعُمُومِ مِنْ أَلْفَاظِ تِلْكَ الْآيَاتِ."

وَالرَّابِعُ: هُوَ حَوَادِثُ حَدَثَتْ وَفِي الْقُرْآنِ تُنَاسِبُ مَعَانِيَهَا سَابِقَة أَو لَا حقة فَيَقَعُ فِي عِبَارَاتِ بَعْضِ السَّلَفِ مَا يُوهِمُ أَنَّ تِلْكَ الْحَوَادِثَ هِيَ الْمَقْصُودُ مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ، مَعَ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهَا مِمَّا يَدْخُلُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ وَيَدُلُّ لِهَذَا النَّوْعِ وُجُودُ اخْتِلَافٍ كَثِيرٍ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي الْمَسْأَلَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ بَحْثِ أَسْبَابِ النُّزُولِ مِنَ «الْإِتْقَانِ» وهو الإشكال الأخير الذي لجأ فيه السيوطي إلى قواعد ترجيحية في قبول أسباب النزول.

وَالْخَامِسُ: قِسْمٌ يُبَيِّنُ مُجْمَلَاتٍ وَيَدْفَعُ مُتَشَابِهَاتٍ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ) [الْمَائِدَة: ٤٤] فَإِذَا ظَنَّ أَحَدٌ أَنَّ مَنْ لِلشَّرْطِ أُشْكِلَ عَلَيْهِ كَيْفَ يَكُونُ الْجَوْرُ فِي الْحُكْمِ كُفْرًا؟، ثُمَّ إِذَا عَلِمَ أَنَّ سَبَبَ النُّزُولِ هُمُ النَّصَارَى عَلِمَ أَنَّ مَنْ مَوْصُولَةٌ وَعَلِمَ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكُوا الْحُكْمَ بِالْإِنْجِيلِ لَا يُتَعَجَّبُ مِنْهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمُحَمَّدٍ. ...)(٢)

ولا يسلم كلام ابن عاشور هنا من المنازعة، فسواء كانت "من" شرطية أو موصولة، فإن ذلك لا ينافى ما قرره العلماء ـ وهو من أبرزهم ـ أن العبرة في أسباب النزول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهنا تبرز إشكالية تطبيق هذه القاعدة عندما يحاول المفسر أن يخرج من عموم الحكم ليخصصه وذلك بطرحه أسئلة من قبيل: كيف يكون الجور في الحكم كفرا؟

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٩).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٥٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد كان الإمام محمد رشيد رضا مدركا لهذا المعنى من أن الآية لا يصح التمحل في تفسيرها بإشكالات علمية تخرجها عن عمومها فقال: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) " المائدة ٤٤" أَيْ وَكُلُّ مَنْ رَغِبَ عَنِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ أَحْكَامِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، فَلَمْ يَحْكُمْ بِهَا لِمُخَالَفَتِهَا لِهَوَاهُ أَوْ لِمَنْفَعَتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ الصَّحِيحَ يَسْتَلْزِمُ الْإِذْعَانَ، وَالْإِذْعَانُ يَسْتَلْزِمُ الْعَمَلَ وَيُنَافِي الِاسْتِقْبَاحَ وَالتَّرْكَ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مُقَرِّرَةٌ لِمَا قَبْلَهَا، وَمُؤَيِّدَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي هَذَا السِّيَاقِ: (وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) ثُمَّ جَاءَ بِمِثَالٍ مِنْ هَذِهِ الْأَحْكَامِ فَقَالَ: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ) " المائدة ٤٥"[١]

وفي نهاية هذا المبحث وبعد عرضنا لهذه الإشكالات يمكننا الوقوف على **أركان أساسية في تعريف أسباب النزول نجملها فيما يلي:**

١. حادثة أو سؤال.

٢. وقع في زمن النبي ﷺ.

٣ . نزلت بشأنه آية أو آيات قرآنية.

٤. يتفق مضمونه ومحتواه مع محتوى الآية ومضمونها ومقصدها.

٥. ويكون صحيح الإسناد.

---

(١) تفسير المنار ٦/٣٣٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ المبحث الثالث: إشكالات التطبيق (سورة المجادلة نموذجا)

سنبدأ بذكر أقدم الروايات الواردة في أسباب نزول بعض آيات سورة المجادلة، وذلك بالرجوع إلى كتب السنة، ثم نقف عند أقدم كتب التفاسير وهو جامع البيان للطبري، ثم نقف أمام أقدم مصنف في أسباب النزول للواحدي، ثم نقف أمام أحكام القرآن لابن العربي.

وسبب اختيارنا لهذه الكتب أن كل كتاب منها يمثل علما يتشابك مع إشكال مما ذكرناه آنفا في التعريف:

١. فكتب السنة سنرى من خلالها إشكالية صحة الإسناد وضعفه، وسنعتمد في ذلك على الكتب التسعة وأعني بها: (موطأ مالك، ومسند أحمد، وسنن الدارمي، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النَّسَائِي وسنن ابن ماجه.) وقد جمعها الدكتور/ خالد بن سليمان المزيني ـ في رسالته للدكتوراة تحت عنوان: "المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية".[١]

٢. وتفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" والطبري يعتبره علماء التفسير أبو المفسرين وأسبقهم في هذا العلم؛ ولذلك سنرى فيه معظم الإشكالات التي ذكرناها سندا ومتنا. وقد وجدت رسالة علمية بعنوان: أسباب النزول في تفسير الطبري جمع وتخريج ودراسة. د حسن البلوط؛ فاستعنت بها في بعض مواضع التطبيق.

٣. وأسباب النزول للواحدي يمثل أقدم كتاب في هذا العلم، ويبين الحرص على جمع الأسباب بغض النظر عن صحتها أو ضعفها، وبغض النظر عن مناسبتها للآيات أو عدمها.

٤ . وأما أحكام القرآن لابن العربي ففيه نظرة الفقهاء والأصوليين لأسباب النزول، وكيف كانت أداة لديهم في أصول الفقه وقواعده، وكيف طبقوا قاعدتهم الأصولية: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية ـ الأولى، (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م).

شبكة الألوكة ـ قسم الكتب

أسباب النزول الواردة في الآيات (١- ٤) من سورة المجادلة

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة المجادلة١ :٤].

◈ **أسباب النزول في كتب السنة:**

الرواية الأولى: إن أقدم الروايات في سبب نزول هذه الآيات في كتب السنة، عند الإمام أحمد، والبخاري تعليقا، والنسائي، وابن ماجة عن عائشة رضى الله عنها وعن خولة بنت ثعلبة - وكانتا رضى الله عنهما شاهدتين حدوث هذا السبب - قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي -ﷺ- تكلمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول فأنزل الله -عز وجل-: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا).(١)

الرواية الثانية:

عن خولة بنت ثعلبة قالت: (والله فيَّ وفي أوس بن صامت أنزل الله -عز وجل- صدر سورة المجادلة. قالت: كنت عنده، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضجر قالت: فدخل عليَّ يوماً فراجعته بشيء فغضب فقال: أنت عليَّ كظهر أمي. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعةً ثم دخل عليَّ فإذا هو يريدني على نفسي قالت: فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليَّ وقد قلتَ ما قلتَ حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه.

---

(١) أخرجه أحمد، والبخاري تعليقا، والنسائي، وابن ماجة راجع: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (٢/ ٩٥٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قالت: فواثبني فامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها ثم خرجت حتى جئت رسول الله -ﷺ- فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه فجعلت أشكو إليه -ﷺ- ما ألقى من سوء خلقه. قالت: فجعل رسول الله -ﷺ- يقول: (يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه) قالت: فو الله ما برحت حتى نزلت فيَّ القرآن فتغشى رسول الله -ﷺ- ما كان يتغشاه، ثم سري عنه، فقال لي: (يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك) ثم قرأ عليَّ: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) - إلى قوله - (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فقال لي رسول الله -ﷺ-: (مريه فليعتق رقبة) قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق.

قال: (فليصم شهرين متتابعين) قالت: فقلت: والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام قال: (فليطعم ستين مسكينًا وسقاً من تمر) قالت: قلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده. قالت: فقال رسول الله -ﷺ-: (فإنا سنعينه بعرق من تمر) قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر. قال: (قد أصبت وأحسنت، فاذهبي فتصدقي عنه، ثم استوصي بابن عمك خيراً) قالت: ففعلت."[(١)] وفى دِرَاسَةُ هذين السَّبَبِين يقول الأستاذ خالد المزيني: (هكذا جاء في سبب نزول هذه الآيات الكريمة، وقد تنوعت اختيارات المفسرين لهذه الأسباب. فمنهم من ذكر الحديثين كالطبري وغيره. ومنهم من ذكر حديث عائشة -رضي الله عنها- كابن العربي، وأضاف إلى ذلك روايات أخرى... وينتهي الأستاذ/ المزيني إلى نتيجة يرى فيها أن هذين الحديثين هما سببا نزول الآيات الكريمات؛ لإجماع المفسرين على ذلك وموافقتهما لسياق القرآن وتصريحهما بالنزول، وصحة أسنادهما...).[(٢)]

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٩٦٠) أخرجها أحمد وأبو داود.

(٢) مختصر من المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (٢/ ٩٦١، ٩٦٢، وقد ذكرت من كلام الأستاذ خالد المزيني ما يتلاءم مع طبيعة بحثنا ومن أراد المزيد فليراجعه فهو جيد في بابه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكما ترى فإن الأستاذ المزيني قد اعتمد في قبوله لهاتين الروايتين كسبب نزول لهذه الآيات على: إجماع المفسرين، وموافقتهما لسياق القرآن، وصحة إسنادهما، وهى مرجحات علمية، وإن كان إجماع المفسرين لا يمكن حصره أو دقته، لكنهم ـ أي المفسرين ـ قد ذكر كل منهم رواية أو روايتين، وربما أكثر يدور مضمونها في نطاق هاتين الروايتين الصحيحتين، ولعل ذلك ما جعله يقول بالإجماع، وأما موافقة السياق وصحة السند فلا شك أن ذلك متحقق في هاتين الروايتين.

أسباب نزول الآيات عند الطبري

ولما راجعت تفسير الطبري وجدت أنه ذكر خمس عشرة رواية في سبب نزول هذه الآيات من بينها الروايتين السابقتين، وقد أحصاها الدكتور/ حسن البلوط في رسالته القيمة: (أسباب النزول الواردة في جامع البيان للطبري "ت٣١٠ هـ" جمعا وتخريجا ودراسة) وجاءت دراسته للأسانيد وتخريجه لهذه الروايات على النحو التالي:

١ـ ١٤٤٣ / عن أبى العالية إسناده صحيح عن أبى العالية لكنه مرسل.

٢. ١٤٤٤ / إسناده صحيح إلى قتادة **إلا أنه مرسل ولم يخرجه غير الطبري.**

٣. ١٤٤٥ / إسناده صحيح إلى قتادة **إلا أنه** مرسل وهو مكرر الذى قبله.

٤. ١٤٤٦ / إسناده ضعيف في إسناده أبو حمزة الثمالي وهو ضعيف وفيه نكارة قال البزار: " حديث أبى حمزة منكر وفيه لفظ يدل على خلاف الكتاب؛ لأنه قال " وليراجعك " وقد كانت امرأته ولم يطلقها، وهذا مما لا يجوز على رسول الله ﷺ ، وإنما أتى من رواية الثمالي "

٥. ١٤٤٧ / إسناده ضعيف مسلسل بالضعفاء.

٦. ١٤٤٨ / إسناده ضعيف، **وهو** مرسل، ولم أقف على تخريجه لغير المصنف.

٧. ١٤٤٩ / إسناده صحيح إلى أبى إسحاق، **وهو معضل.**

٨. ١٤٥٠ / إسناده حسن إلى عروة بن الزبير، **وهو** مرسل، وسيأتي موصولا عن عروة عن عائشة برقم ١٤٥٢ وما بعده.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٩. ١٤٥١ / في إسناده معمر بن عبد الله، مقبول، وابن إسحاق مدلس، لكنه صرح بالتحديث عند أحمد، وقال الحافظ بن حجر في الفتح ٣٤٣/٩: إسناده حسن.

١٠. ١٤٥٢ / إسناده صحيح.

١١. ١٤٥٣ / إسناده حسن، فيه يحيى بن عيسى، صدوق يخطئ، لكنه لم ينفرد به، والحديث صحيح من طرق أخرى.

١٢. ١٤٥٤ / حسن لغيره، في إسناده إبراهيم بن محمد المسعودي لم أقف عليه، وقد توبع، والحديث صحيح من طريق غيره.

١٣. ١٤٥٥ / حسن لغيره، وفى إسناده بن وكيع ضعيف، وقد توبع، والحديث صحيح من طرق أخرى.

١٤. ١٤٥٦ / إسناده حسن، ويرتقي إلى الصحيح لغيره بشواهده المتقدمة.

١٥. ١٤٥٧ / في إسناده يحيى بن بشر لم أقف عليه، وعبد العزيز منكر الحديث، وخصيف ضعيف، وفي متنه نكارة، حيث جعل الكفارة التي فعلها عتق رقبة، والمحفوظ إطعام ستين مسكينا، كما صحت الروايات بذلك فيما سبق))(١)

ومراجعة هذه الروايات في ضوء هذه الدراسة الحديثية في السند والمتن تبين لنا ما يلي:

- روايتان صحيحتان سندا ومتنا.
- أربع روايات حسنة الإسناد، والحديث الحسن عند المحدثين يصح الاحتجاج به.
- خمس روايات مرسلة، والرواية المرسلة يعدها المحدثون في الحديث الضعيف.
- روايتان ضعيفتان.
- روايتان ضعيفتا الإسناد، وفى متنهما نكارة.

ويبين هذا الإحصاء أن عدد الروايات الضعيفة (مرسلة وضعيفة) يبلغ "٩" تسع روايات، وست روايات بين الصحيحة والحسنة.

---

(١) راجع أسباب النزول في تفسير الطبري من صـ ١٠٤٥ ـ ١٠٥٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وبالمقابلة بين ما ورد في تفسير الطبري وبين ما ورد في كتب السنة التسعة كما أحصاها المزيني في دراسته " المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة[١] نجد أن روايتين اثنتين صحيحتين فقط وردتا في كتب السنة، وكان يجب الوقوف عندهما والاكتفاء بهما في تفسير الآيات؛ لكن الطبري قد ذكر ثلاث عشرة رواية زيادة عما ورد في الكتب التسعة، وذلك لأنه اعتمد على الروايات المرسلة عن التابعين رضى الله عنهم، ومع علمه بضعف بعض هذه الروايات إلا أنه قد التزم قاعدة حديثية في منهجه في تعامله مع السنة وهي: (من أسند فقد أحال، ومن أحال فقد برئ)[٢] وتعني أن الطبري قد روى الأحاديث أو الروايات كما سمعها بغض النظر عن صحتها أو ضعفها، وقد أحالها للمتلقي، وعلى المتلقي لهذه الروايات أن يبحث عن صحتها أو ضعفها.

وهذه القاعدة على أهميتها لكنها تسببت في إشكال ظاهر؛ لأن المتلقي ليس أهلا ـ في معظم الأحوال ـ للبحث والحكم على الروايات التي يتلقاها عن الطبري، وبخاصة إذا كان الأخير معدودا من أبرز علماء التابعين في التفسير والحديث والفقه والعربية والتاريخ...إلخ فما يرويه يتلقى عنه بالقبول.

والإشكال هنا: هو انتقال هذه الروايات الضعيفة من تفسير الطبري إلى كتب التفسير من بعده؛ وذلك لكونه أسبق التفاسير وأكملها وأشملها، ولكونه موسوعة لحفظ ماورد في تفسير القرآن من الأحاديث والآثار المسندة. وللاعتبارات التي ذكرناها عن الطبري آنفا.

ولنأخذ مثالا على ذلك؛ سنتتبع رواية ضعيفة، بل منكرة وردت في الروايات السابقة وهى الرواية الرابعة؛ التي بين الدكتور حسن البلوط في دراسته ضعفها سندا،

---

(١) المحرر في أسباب النزول (٢/ ٩٦١، ٩٦٢).

(٢) وهي عبارات مختلفة الألفاظ متفقة المعنى يقولها أهل الحديث إعذارًا للسابقين من المصنفين الذين جمعوا الروايات فكان فيها الصحيح والحسن ودون ذلك مثل (من أسند لك فقد أحالك)، ومثل (من أسند فقد برئت ذمته) وقد ذكرها الطبري في مقدمة تفسيره، وابن عبد البر التمهيد (٣/١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ونكارتها متنا؛ لنرى انتقالها من تفسير الطبري إلى كتب بعض المفسرين؛ لتكون من بين الأسباب الواردة في نزول صدر سورة المجادلة.

نص رواية الطبري وبيان ضعفها:

(حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي حمزة، عن عكرِمة، عن ابن عباس، قال: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليّ كظهر أمي حَرُمت في الإسلام، فكان أوّل من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت، وكانت تحته ابنة عمّ له، يقال لها خُوَيلة بنت خُوَيلد، وظاهر منها، فأُسْقِطَ في يديه، وقال: ما أراك إلا قد حَرُمْتِ عليّ، وقالت له مثل ذلك، قال: فانطلقي إلى رسول الله ﷺ، قال: فأتت رسول الله ﷺ فوجدتْ عنده ماشطة تمشُط رأسه، فأخبرته، فقال: يا خُوَيْلَةُ ما أمِرْنا فِي أمْرِكِ بِشَيْءٍ، فأنزل الله على رسول الله ﷺ فقال: يا خُوَيْلَةُ أبْشِرِي، قالت: خيرا،

قال: فقرأ عليها رسول الله ﷺ (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) .... إلى قوله: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا) قالت: وأيُّ رقبة لنا، والله ما يجد رقبة غيري، قال: (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ) ، قالت: والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرّات لذهب بصره، قال: (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) ، قالت: من أين؟ ما هي إلا أكلة إلى مثلها، قال: فرعاه بشطر وَسْق ثلاثين صاعا، والوَسْق ستون صاعا، فقال: لِيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينا وَلِيُرَاجِعْك"[١]

لم يعقب الطبري رحمه الله على هذا الحديث وإنما سكت عنه؛ لكن علماء الحديث أجروا عليه شروط قبولهم للحديث سندا ومتنا؛ فبينوا أسباب ضعفه؛ فقال البزار ـ بعد أن أورد ـ هذا الحديث: (لا نعلمه . أي هذا الحديث الذى جاء في نهاية الرواية . بهذا اللفظ في الظهار عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا بهذا الإسناد، وأبو حمزة لين الحديث، وقد خالف في روايته ومتن حديثه الثقات في أمر الظهار؛ لأن الزهري رواه عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هريرة، وهذا إسناد لا نعلم بين علماء أهل الحديث اختلافًا في صحته، وأنه ﷺ دعا بإناء فيه خمسة عشر صاعًا، وحديث أبي حمزة منكر، وفيه لفظ يدل على خلاف الكتاب؛ لأنه قال: "وليراجعك"، وقد كانت

(١) تفسير الطبري (٣/٢٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

امرأته، فما معنى مراجعته امرأته ولم يطلقها، وهذا مما لا يجوز على رسول الله ﷺ، وإنما أتي هذا من رواية أبي حمزة الثمالي[1]"

يستفاد من كلام البزار أن لفظة (وَلْيُرَاجِعْكِ) مدرجة في الحديث، وليست من المتن المرفوع؛ لعدة أمور: ضعف أبي حمزة الثمالي، ومجيء الحديث بإسناد آخر غير ما ذُكر، وليس فيه تلك اللفظة، مما يُظهر مخالفة أبي حمزة للثقات في رواية هذا الحديث، واستحالة كون النبي (ﷺ) يقول تلك اللفظة، والحديث المدرج معدود في الضعيف.[٢]

---

(1) كشف الأستار عن زوائد البزار: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) (٢/١٩٨، ١٩٩) ح١٥١٢، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م. وجاء في حاشية تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير صـ٤/ح٣ أخرجه البزار في كشف الأسرار ٢/ ١٩٨، ١٩٩، و الطبري في تفسيره ٢٨/ صـ ٤.٣، والبيهقي ٧/ ٣٩٢.

(٢) ويمكن مراجعة أسباب القول بالإدراج تفصيلا في الكتب التي تحدثت عن الحديث المدرج (المدرجات في السنن الأربعة) ويمكننا هنا أن نبين ما قاله العلماء عن أبى حمزة الثمالى،فهو ثابت بن أَبي صفية، واسمه دينار، ويُقال: سَعِيد، أَبُو حمزة الثُّمَالِيُّ الأزدي الكوفي، مولى المهلب، قد تواترت أقوال أهل العلم بتضعيفه، قال عَبْد اللَّهِ بْن أَحْمَد بْن حنبل، عَن أبيه: ضعيف الحديث، ليس بشيءٍ، وَقَال عَباس الدُّورِيُّ، عَن يحيى بْن مَعِين: ليس بشيءٍ، وَقَال أَبُو زُرْعَة: لين، وَقَال أَبُو حاتم: لين الحديث، يكتب حديثه، لا يحتج بِهِ، وَقَال إبراهيم بْن يعقوب الجوزجاني: واهي الحديث، وَقَال النَّسَائي: ليس بثقة ، وقال ابن حجر: كوفي ضعيف رافضي من الخامسة، مات في خلافة أبي جعفر) . انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: المزي (٣٥٧/٤)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠ – ١٩٨٠م، وتقريب التهذيب: ابن حجر (١٣٢/١). والمراجعة: التعريف اللغوي: تعنى المُعاودَةُ، مَصْدَر راجَعَ، يُقال: راجَعَ فُلانًا في أَمْرِهِ مُراجَعَةً ورِجاعًا، أيْ: رَجَعَ إليه وشاوَرَهُ، وراجَعَ الكِتابَ أو الحِسابَ: أعادَ النَّظَرَ فِيهِ، وراجَعَ زَوْجَتَهُ: رَدَّها بعد طَلاقٍ، وراجَعَ فُلانًا الكَلامَ: جاوَبَهُ وجادَلَهُ وجَعَلَهُ يُعِيدُهُ، والمُراجَعَةُ مُشتَقَّةٌ مِن الرَّجْعِ، وهو: نَقِيضُ الذَّهابِ، يُقالُ: رَجَعَ مِن سَفَرِهِ: إذا عادَ مَنهُ. المعنى الاصطلاحي: رَدُّ الزَّوجَةِ المُطَلَّقَةِ غَيرِ البائِنِ في العِدَّةِ إلى النِّكاحِ مِنْ غير اسْتِئنافِ عَقْدٍ جَدِيدٍ. انظر: الحاوي الكبير للماوردي، ٣٣٧/١٠، التعريفات الفقهية، معجم لغة الفقهاء لقلعجي، ص ٤٢٠:.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

انتقال الرواية إلى كتب المفسرين بعد الطبري

١. هذه الرواية الضعيفة سندا المنكرة متنا انتقلت إلى تفسير "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه" لمكي بن أبى طالب: فالإمام مكي بن أبي طالب في تفسيره لسورة المجادلة . بعد أن عرض الاختلاف في اسم المرأة المجادلة، ذكر الروايات الواردة في شأنها عن قتادة، وعروة بن الزبير، وابن عباس رضى الله عنهم جميعا ولم يذكر لهذه الروايات إسنادا، وجاء في نهاية الرواية التي ذكرها عن ابن عباس: {فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا}، (فقالت: من أين؟ ما هي إلا أكلة إلى مثلها. قال فدعا رسول الله ﷺ بشطر وسق وست ثلاثين صاعاً، والوسق ستون صاعاً، فقال:(ليطعم ستين مسكينًا وليراجعك)[١]

ولم يعلق الإمام مكي رحمه الله عليها بشيء، ولا أحسب أن كلام البزار رحمه الله عن هذه الرواية سندا ومتنا يغيب عن مثله وهو مَن هو في الإمامة في التفسير والحديث، إلا إذا كان للفظ " وليراجعك " معنى آخر حمله عليه غير الذى فهمه البزار، والله أعلم.

٢. هذه الرواية الضعيفة سندا المنكرة متنا في تفسير ابن كثير.

وبعد بيان ما في هذه الرواية من ضعف في سندها ونكارة في متنها وجدتها بنصها في تفسير ابن كثير ناقلا إياها عن الطبري وفى نهايتها: " **فقال ﷺ: لِيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينا وَلِيُرَاجِعْكِ**" وعقب في نهايتها قائلا: (وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وَسِيَاقٌ غَرِيبٌ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ نَحْوُ هَذَا.)[٢]

---

(١) الهداية في بلوغ النهاية لأبى محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧ هـ)، (١١/ ٧٣٤٥)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد لبوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨/٨ تحقيق سامى محمد سلامة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولا نعلم سبب وصف ابن كثير لهذا الإسناد بالجيد، والقوى، وقد نقلت لك ما قاله البزار في سندها ولعل قوله " وسياق غريب " يقصد هذه العبارة المدرجة " وليراجعك "، وابن كثير حافظ ناقد ولعله يقصد أن متن الحديث بدون إدراج قد ورد بأسانيد أخرى جيدة وقوية. والله أعلم.

٣. وانتقلت هذه الرواية الضعيفة سندا المنكرة متنا إلى تفسير الدر المنثور للسيوطي، حيث يقول: (وَأخرج الطَّبَرَانِيّ عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: كَانَ الظِّهَار فِي الْجَاهِلِيَّة يحرم النِّسَاء ... إلخ) فلم يذكر لها إسنادا، وكانت أطول عرضا من رواية الطبري وجاء في نهايتها " قَالَ ـ أي رسول الله ﷺ : فمريه فلينطلق إِلَى فلَان فليأخذ مِنْهُ شطر وسق من تمر **فليتصدق بِهِ على سِتّين مِسْكينا وليراجعك**" فنص على قوله: " وليراجعك "[1]

وهذا ما يهمنا من الرواية، وتكاد هذه العبارة تكون تكرارا لما ورد في رواية الطبري. وقد راجعت معجم الطبراني فوجدته قد ذكر هذه الرواية في موضعين في معجمه:

الأول في حديثه عن أوس بن الصامت، والثاني في حديثه عن خولة بنت ثعلبة، والغريب أن الروايتين خاليتان من كلمة " وليراجعك " المدرجة في الحديث، وإنما جاء في نهاية الرواية :" قَالَ ﷺ: «فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا» قَالَتْ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عِنْدَهُ مَا يُطْعِمُ، قَالَ: «سَنُعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ» – وَالْعَرَقُ يَسَعُ ثَلَاثِينَ صَاعًا – قُلْتُ: وَأَنَا أُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ، قَالَ: «أَحْسَنْتِ، مُرِيهِ فَلْيَتَصَدَّقْ بِهِ» وهذه العبارة هي بنصها في الموضعين وليس فيها اللفظة المدرجة " فليراجعك " !.

ولا أدرى من أي كتب الطبراني نقل السيوطي هذه الرواية، أم أنه نقل رواية الطبري، وجرى تصحيف من النساخ فنسبوها للطبراني؟ ربما.

---

(١) راجع الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٨/٧٧، الدر المنثور ٨/٧٦ ، ٧٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٤. وانتقلت الرواية الضعيفة سندا المنكرة متنا أيضا إلى تفسير" محاسن التأويل " للقاسمي فقال: وروى ابن جرير عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية... ثم قال في نهاية الرواية...إلخ (فأنزل الله على رسوله ﷺ فقال: يا خويلة! أبشري. قالت خيرا. قال فقرأ عليها قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ... إلى قوله تعالى: فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا. قالت: وأيّ رقبة لنا؟ والله! ما نجد رقبة غيري؟ قال: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ قالت: والله! لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره. قال: فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً قالت: من أين؟ ما هي إلا أكلة إلى مثلها! قال: فرعاه بشطر وسق ثلاثين صاعا، والوسق ستون صاعا، فقال: **ليطعم ستين مسكينا وليراجعك)**. ثم نقل القاسمي تعقيب ابن كثير على الرواية؛ قائلا: " قال ابن كثير: إسناده جيّد قوي، وسياق غريب، وقد روي عن أبي العالية نحو هذا.)[1]

ولعله من الواضح أن كلمة ابن كثير ـ رحمه الله ـ عن سند هذه الرواية الضعيفة سندا ومتنا كانت سببا في رواية القاسمي لها في تفسيره.

هذا ما يسره الله لنا من تتبع لهذه الرواية الضعيفة سندا المنكرة متنا في بعض كتب التفسير؛ ولعلها تسربت إلى كتب تفسير أخرى لم أستطع الوصول إليها، وفى كل الأحوال فإن هذا المثال التطبيقي يكشف لنا بجلاء عن الإشكال في التطبيق في الاعتماد على أسباب النزول الضعيفة في سندها، بل والمنكرة في متنها في تفسير بعض آيات القرآن الكريم.

أسباب نزول آيات سورة المجادلة عند الواحدي

في كتاب" أسباب النزول" جمع الواحدي المتوفى" ت ٤٦٨ هـ " أي بعد ما يزيد عن قرن ونصف من وفاة الطبري أكبر قدر من روايات أسباب النزول من كتب

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٩/١٦٤ محمد جمال الدين بن محمد القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢ هـ) ت: محمد باسل عيون السود . دار الكتب العلمية – بيروت ـ الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السنة وكتب التفسير وغيرهما، وفى الآيات الأولى في سورة المجادلة التي نحن بصدد الحديث عنها ذكر أربع روايات وإليك بيانها:

أولا: روايتان مسندتان صحيحتان في سبب نزول الآية الأولى وهما في قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ...} الْآيَةَ. [١]

الرواية الأولى: (أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْغَازِي بسنده... **عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عُرْوَةَ**، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سمعه كل شي، إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ، وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رسول الله ﷺ، وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْلَى شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَ سِنِّي، وَانْقَطَعَ. وَلَدِي- ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ قَالَتْ: فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام بِهَذِهِ الْآيَاتِ: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ.)

وعقب الواحدي على هذه الرواية بقوله: (رَوَاهُ [الْحَاكِمُ] أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُزَنِيِّ عَنْ مُطَيْرٍ، عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ.)(١)

الرواية الثانية: (أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْحَارِثِ بسنده ...عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوَسَّعَ لِسَمْعِ الْأَصْوَاتِ كُلِّهَا! لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ فَكَلَّمَتْ رسول الله ﷺ. وَأَنَا فِي جَانِبِ الْبَيْتِ لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا.)

وهاتان الروايتان صحيحتان تتبع سندهما الدكتور/ حسن البلوط في كتابه " أسباب النزول عند الطبري " وكذلك قال الأستاذ كمال زغلول محقق كتاب أسباب النزول، ولا حاجة بنا إلى إعادة البحث في سندهما أو متنهما فسندهما وصحيح

(١) هذه الرواية في الطبري ٢٣/٢٢٦، وفي أسباب النزول عند الطبري ١٠٥٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومتنهما يتسق مع مضمون الآية. وقد نقل معظم المفسرين قديما وحديثا هاتين الروايتين (نصا أو مضمونا)[١]

الرواية الثالثة: وهى وإن كان في سندها كلام إلا أن طرقها يقوى بعضها بعضا؛ فتصل إلى مرتبة الحديث الحسن ، ونصها في أسباب النزول للواحدي: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَامِدٍ الْعَدْلُ بسنده... عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: حَدَّثَتْنِي خُوَيْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَ أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ، أَخِي عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ ذات يوم فكلمني بِشَيْءٍ وَهُوَ فِيهِ كَالضَّجِرِ، فَرَادَدْتُهُ فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، ثُمَّ خَرَجَ فِي نَادِي قَوْمِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ فَرَاوَدَنِي عَنْ نَفْسِي فَامْتَنَعْتُ مِنْهُ، فَشَادَّنِي فَشَادَدْتُهُ، فَغَلَبْتُهُ بِمَا تَغْلِبُ بِهِ الْمَرْأَةُ الرَّجُلَ الضَّعِيفَ فَقُلْتُ: كَلَّا- وَالَّذِي نَفْسُ خُوَيْلَةَ بِيَدِهِ. لَا تَصِلُ إِلَيَّ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيَّ وَفِيكَ بِحُكْمِهِ، ثُمَّ أتيت النبي ﷺ أَشْكُو مَا لَقِيتُ، فَقَالَ: زَوْجُكِ وَابْنُ عَمِّكِ، اتَّقِي اللَّهَ وَأَحْسِنِي صُحْبَتَهُ. فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا إِلَى [قَوْلِهِ] : إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْكَفَّارَةِ، قَالَ: مُرِيهِ فَلْيَعْتِقْ رَقَبَةً، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا عِنْدَهُ رَقَبَةٌ يَعْتِقُهَا. قَالَ: مُرِيهِ فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ [وَاللَّهِ إِنَّهُ] شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ، قَالَ: فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا عِنْدَهُ مَا قال:

---

(١) وقال محقق أسباب النزول في تخريجهما: أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب التوحيد ترجمة الباب (٩) باب وَكانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً قبل الحديث (٧٣٨٦). وأخرجه النسائي في الطلاق (٦/ ١٦٨). وفي التفسير (٥٩٠). وأخرجه ابن ماجة في المقدمة (١٨٨). وفي الطلاق (٢٠٦٣). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨١) وصححه ووافقه الذهبي. راجع أسباب النزول ت زغلول (صـ ٤٢٧،٤٢٨) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ) ت: كمال بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية – بيروت ـ الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ [وهاتان الروايتان في تفسير الطبري٢٣/٢٢٥، ٢٢٦، وفى أسباب النزول عند الطبري للبلوط صـ ١٠٥٢، ١٠٥٣]

شبكة الألوكة - قسم الكتب

"بَلَى سَنُعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ – مِكْتَلٍ يَسَعُ ثَلَاثِينَ صَاعًا – قَالَتْ: قُلْتُ: وَأَنَا أُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ، قَالَ: قَدْ أَحْسَنْتِ، فَلْيَتَصَدَّقْ.) [(١)]

والحديث الحسن يحتج به؛ وقد نقل معظم المفسرين هذه الرواية أيضا، ولا إشكال فيها لا سندا ولامتنا.

وأما الإشكال فقد وقع في الرواية الرابعة وهى التي رواها الواحدي كسبب نزول في قوله تعالى: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ ...} الْآيَةَ. [٢ المجادلة]

فقال: (أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَنْصُورِيُّ بسنده... حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، **أَنَّهُ سَأَلَ قَتَادَةَ عَنِ الظِّهَارِ، قَالَ: فَحَدَّثَنِي أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ،** قَالَ: إِنَّ أَوْسَ بْنَ الصَّامِتِ ظَاهَرَ مِنِ امْرَأَتِهِ خُوَيْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ، فَشَكَتْ ذَلِكَ إلى النبي ﷺ، فَقَالَتْ: ظَاهَرَ مِنِّي حِينَ كَبِرَ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ الظِّهَارِ، فَقَالَ رسول اللَّه ﷺ لِأَوْسٍ: أَعْتِقْ رقبة، فقال: مالي بِذَلِكَ يَدَانِ، قَالَ: فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، قَالَ: أَمَا إِنِّي إِذَا أَخْطَأَنِي أَنْ لَا آكُلَ فِي الْيَوْمِ [مَرَّتَيْنِ] كَلَّ بَصَرِي، قَالَ: فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا، قَالَ: لَا أَجِدُ إِلَّا أَنْ تُعِينَنِي مِنْك بِعَوْنٍ وَصِلَةٍ. قَالَ: فَأَعَانَهُ رسول اللَّه ﷺ بخمسة عشرَ صرعاً حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ لَهُ، وَاللَّهُ رَحِيمٌ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ عِنْدَهُ مِثْلَهَا، وَذَلِكَ لِسِتِّينَ مِسْكِينًا.) فهذه الرواية ضعيفة الإسناد ومع ذلك فقد نقلها المفسرون عن الواحدي في كتبهم، لكنهم لم يذكروها بهذا الإسناد وإنما ذكروا مضمونها بأسانيد أخرى صحيحة، ولعل هذا كان سببا في أن مضمونها نجده في معظم التفاسير.[(٢)]

---

(١) قال محقق أسباب النزول: " أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٤١٠) وقد صرح ابن إسحاق بالسماع. وفي إسناده معمر بن عبد الله بن حنظلة، قال الحافظ في التهذيب: ذكره ابن حبان في الثقات وأخرج حديثه في صحيحه وفيه تصريح ابن إسحاق بالسماع وقال القطان: مجهول الحال وتبعه الذهبي وقال: تفرد عنه ابن إسحاق. والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق (٢٢١٤، ٢٢١٥) . والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٨٩). وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ١٧٩) للطبراني وابن المنذر وابن مردويه. راجع أسباب النزول ت زغلول ص: ٤٢٩ وهذه الرواية في الطبري ٢٢٥/٢٣، وفى أسباب النزول عند الطبري قال د / البلوط: (في إسناده معمر بن عبد الله، مقبول، وابن إسحاق مدلس، لكنه صرح بالتحديث عند أحمد، وقال الحافظ بن حجر في الفتح ٣٤٣/٩: إسناده حسن صد ١٠٥١.

(٢) وفي تخريج هذا الحديث قال الأستاذ كمال زغلول محقق الكتاب:" إسناده ضعيف: سعيد بن بشير الأزدي: ضعيف [تهذيب التهذيب ٤/ ٨] وقال ابن حبان: يروي عن قتادة ما لا يتابع [مجروحين ١/ ٣١٥] وعزاه في الدر (٦/ ١٨٠) لابن مردويه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

◈ أسباب نزول سورة المجادلة عند ابن العربي (ت٥٤٢هـ)(١)

تناول ابن العربي في كتابه " أحكام القرآن الكريم" سورة المجادلة مبينا ما فيها من أحكام، فذكر تسعا وعشرين مسألة مختلفة فمنها مسائل عقدية، ولغوية، وفقهية وغيرها، كبيانه أن المجادلة هي خولة بنت ثعلبة رضى الله عنها، وذكر الرواية الخاصة بها على سبيل الاختصار، ثم أردفها برواية أخرى نقلها عن كتب الحديث، كسنن أبى داود، والترمذي، ومسند أحمد وغيرهم جاء فيها: (وروى أيضا: أَنَّ سَعِيدًا أَتَى أَبَا سَلَمَةَ بْنَ صَخْرٍ أَحَدَ بَنِي بَيَاضَةَ، كَانَ رَجُلًا ميطا فَلَمَّا جَاءَ شَهْرُ رَمَضَانَ جَعَلَ امْرَأَتَهُ عَلَيْهِ كَأُمِّهِ، فَرَآهَا ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي بَرِيقِ الْقَمَرِ، وَرَأَى بَرِيقَ خَلْخَالِهَا وَسَاقِهَا فَأَعْجَبَتْهُ فَأَتَاهَا، وَأَتَى النَّبِيَّ -ﷺ- فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ...إلخ وبعد حديثه عن أبى سلمة صاحب هذه القصة في سطور قال في نهايتها : "<u>**وَفِيهِ نَزَلَتْ آيَةُ الظِّهَارِ.**</u>"(٢)

والإشكال هنا في قول ابن العربي في نهاية الرواية: "وَفِيهِ نَزَلَتْ آيَةُ الظِّهَارِ."

فهل كانت هذه الرواية سببا في نزول آية الظهار كما يقول ابن العربي؟ وتتبعت هذه الرواية لأتعرف على درجة صحتها، فوجدتها في تفسير البغوي (ت٥١٠هـ) الذى حققه وجاء في حاشية المحقق تتبعا دقيقا لسند الرواية انتهى من خلاله إلى أن سندها حسن.(٣)

---

(١) راجع أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤. ١٩٧ وفيه تسع وعشرون مسألة عن آيات صدر سورة المجادلة.

(٢) المصدر السابق ٤/١٨٦.

(٣) خرجها محقق الكتاب تخريجا علميا جاء فيه: " وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! – وفيه ابن إسحاق مدلس، وقد عنعن، وفيه إرسال. – قال الترمذي نقلا عن البخاري: سليمان بن يسار لم يسمع عندي من سلمة بن صخر. – وأخرجه الحاكم ٢/ ٢٠٤ من مرسل أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان مرسلا بنحوه. وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

– الخلاصة: إذا انضم هذا إلى ما قبله صار الحديث حسنا، لكن المشهور في هذه الحادثة هو أوس وزوجه خولة، إلا أن تتعدد الأسباب، والله أعلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهذه الرواية من حيث الإسناد هي حسنة الإسناد، وقد أشرنا آنفا أن الإسناد الحسن يُحتج به عند علماء الحديث؛ لكنها مع حسن إسنادها لا يصح اعتمادها سببا لنزول آيات الظهار؛ وسبب ذلك ما يأتي:

ـ أن الرواية لا نص فيها على جدال بين النبي ﷺ والسائل. وفى الآيات نص على المجادلة.

ـ كون هذه الرواية توحى بأن المجادل رجلا لا يتفق مع سياق الآية؛ لأن آيات الظهار بدأت بالحديث عن المجادلة، وهى خولة بنت ثعلبة عند جمهور المحدثين، والمفسرين، والفقهاء، ولفظ الآية واضح فيه ضمير التأنيث في قوله " تجادلك ـ زوجها ـ وتشتكى " فلا شك أن المجادلة امرأة لا رجل.

ـ أن الرواية فيها بيان للحكم مباشرة مما يوحى أن حكم الظهار كان قد نزل واستقر قبل سؤال هذا السائل لرسول الله ﷺ.

ـ لم ينص البغوي على كون هذه الرواية سببا في نزول الآيات لا تصريحا، ولا تلميحا.(١)

فإذا تركنا الإمام البغوي وتتبعنا الرواية في تفسير ابن عطية (ت٥٤٢ هـ) وجدناه ينقل هذه الرواية قائلا: (وحكى النقاش وهو في المصنفات حديثا عن سلمة بن صخر البياضي أنه ظاهر من امرأته ـ إن واقعها مدة شهر رمضان ـ فواقعها

---

(١) تفسير البغوي ٤١/٥ وفى حاشيتها: ٢١٤١- أخرجه أبو داود ٢٢١٣ والترمذي ٣٢٩٩ وأحمد ٤/ ٣٧ والدارمي ٢/ ١٦٣- ١٦٤ وابن ماجه ٢٠٦٢ وابن الجارود ٧٤٤ والحاكم ٢/ ٢٠٣ والبيهقي ٧/ ٣٩٠ من طرق عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ محمد بن عمرو بن عطاء عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ سلمة بن صخر البياض، وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! - وفيه ابن إسحاق مدلس، وقد عنعن، وفيه إرسال. - قال الترمذي نقلا عن البخاري: سليمان بن يسار لم يسمع عندي من سلمة بن صخر. - وأخرجه الحاكم ٢/ ٢٠٤ من مرسل أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان مرسلا بنحوه. وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي. - الخلاصة: إذا انضم هذا إلى ما قبله صار الحديث حسنا، لكن المشهور في هذه الحادثة هو أوس وزوجه خولة، إلا أن تتعدد الأسباب، والله أعلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ليلة؛ فسأل قومه أن يسألوا له رسول الله ﷺ، فأبوا وهابوا ذلك وعظموا عليه، فذهب هو إلى رسول الله ﷺبنفسه وسأله **واسترشده فنزلت الآية**. ..إلخ)[١]

وعلى الرغم مما ذكرناه آنفا من أن هذه الرواية لا يمكن اعتمادها سببا لنزول آيات الظهار إلا أن ابن عطية يقول: " فذهب هو إلى رسول الله ﷺبنفسه وسأله واسترشده فنزلت الآية..." مما يوحي أنه يرى في هذه الرواية سببا لنزول آيات الظهار! فتابعت البحث في مظان ورودها في كتب التفسير؛ فوجدتها في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وفيه يقول: (وَفِي التِّرْمِذِيّ وسنن ابن ماجة: أن سلمة ابن صَخْرٍ الْبَيَاضِيَّ ظَاهَرَ مِنِ امْرَأَتِهِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: (اعْتِقْ رَقَبَةً) قَالَ: فَضَرَبْتُ صَفْحَةَ عُنُقِي بِيَدِي. فَقُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَصْبَحْتُ أَمْلِكُ غَيْرَهَا. قَالَ: (فَصُمْ شَهْرَيْنِ) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَهَلْ أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلَّا فِي الصِّيَامِ. قَالَ: (فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا) الْحَدِيثَ).[٢]

ولم يعقب القرطبي على الرواية بشيء، ولم يشر من قريب أو بعيد إلى أنها سببا لنزول آيات الظهار.

فلما وصلت إلى ابن كثير وجدته قد أماط اللثام عما في هذه الرواية من إشكال؛ فقال بعد أن ذكر رواية عن الإمام أحمد، وأبى داود وفيها أن المجادلة هي خولة بنت ثعلبة، وأنها جادلت النبي ﷺ في شأن زوجها أوس بن الصامت. قال ابن كثير: (هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي سَبَبِ نُزُولِ صَدْرِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَأَمَّا حَدِيثُ سَلَمة بْنِ صَخْر فَلَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ سَبَبَ النُّزُولِ، وَلَكِن إخبار بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، مِنَ الْعِتْقِ أَوِ الصِّيَامِ، أَوِ الْإِطْعَامِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ... عَنْ سَلَمَةَ بْنِ صَخْرٍ الْأَنْصَارِيِّ... إلخ . ثم ذكر رواية سلمة بن صخر إلى قوله وَوَجَدْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ السَّعَة وَالْبَرَكَةَ، قَدْ أَمَرَ لِي بِصَدَقَتِكُمْ، فَادْفَعُوهَا إِلَيَّ. فَدَفَعُوهَا إِلَيَّ.) وأكمل قائلا: وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَاخْتَصَرَهُ التِّرْمِذِيُّ وحَسَّنه، وكانت اللفتة الأخيرة منه في غاية الأهمية

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٢٧٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٧١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفيها يقول: **وَظَاهِرُ السِّيَاقِ: أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ كَانَتْ بَعْدَ قِصَّةِ أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ وَزَوْجَتِهِ خُوَيلَة بِنْتِ ثَعْلَبَةَ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُ تِلْكَ وَهَذِهِ بَعْدَ التَّأَمُّلِ.... إلخ؛ وبعد سطور يقول: وَلِهَذَا ذَهَبَ ابنُ عَبَّاسٍ وَالْأَكْثَرُونَ إِلَى مَا قُلْنَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.)**(١)

فهذه الرواية في رأي ابن كثير ليست سببا لنزول الآيات، وإنما فيها تفسير وبيان لما حوته الآيات من أحكام كفارة الظهار وهي على الترتيب: العتق، الصيام، الإطعام، وأنها حدثت بعد قصة خولة بنت ثعلبة واستقرار هذه الأحكام، وفي قوله ما يدل على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ فلم تقتصر الآيات على حادثة خولة وزوجها وإن كانت هي السبب الأول والأصح لنزول الآيات؛ وإنما ينسحب حكم هذه الآيات على كل من وقع في الظهار منذ نزولها وإلى قيام الساعة.

ومن الواضح اعتماد ابن كثير رحمه الله على السياق في القول بعدم قبول هذه الرواية سببا لنزول الآيات.

وانتقلت هذه الرواية إلى تفسير الدر المنثور للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ولم يعقب عليها بشيء، حتى وجدناها في تفسير التحرير والتنوير" للطاهر ابن عاشور" ت ١٣٩٣ هـ "، الذى رأى ما رآه ابن كثير أيضا أنه لا يمكن اعتمادها سببا لنزول آيات الظهار، وإنما غاية الأمر أن تكون بيانا لما في الآيات من أحكام، يقول ابن عاشور: (وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ حَدِيثًا فِي الظِّهَارِ فِي قِصَّةٍ أُخْرَى مَنْسُوبَةٍ إِلَى سَلَمَةَ بْنِ صَخْرٍ الْبَيَاضِيِّ تُشْبِهُ قِصَّةَ خَوْلَةَ أَنَّهُ ظَاهَرَ مِنِ امْرَأَتِهِ ظِهَارًا مُوقتًا بِرَمَضَانَ، ثُمَّ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ فَوَطِئَهَا وَاسْتَفْتَى فِي ذَلِكَ رَسُول الله ﷺ إِلَى آخَرِ الْقِصَّةِ، إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ يَذْكُرَا أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ.

وَإِنَّمَا نَسَبَ ابْنُ عَطِيَّةَ إِلَى النَّقَّاشِ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ بِسَبَبِ قِصَّةِ سَلَمَةَ وَلَا يُعْرَفُ هَذَا لِغَيْرِهِ. وَأَحْسَبُ أَنَّ ذَلِكَ اخْتِلَاطٌ بَيْنَ الْقِصَّتَيْنِ وَكَيْفَ يَصِحُّ ذَلِكَ وَصَرِيحُ الْآيَةِ أَنَّ السَّائِلَةَ امْرَأَةٌ وَالَّذِي فِي حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ صَخْرٍ أَنَّهُ هُوَ السَّائِلُ.)(٢)

---

(١) تفسير ابن كثير٨/٣٧.

(٢) التحرير لابن عاشور ج٢٨/ص٨،٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفى كلام ابن عاشور عدة أمور تؤكد أنه لا يصح اعتماد هذه الرواية سببا لنزول الآيات نذكر منها:

◊ **الأول**: أن رواة الحديث "الترمذي وأبو داود" لم يشيرا إلى السببية بأي وجه من الوجوه"

◊ **الثاني**: أن هذا قد يكون سببه اختلاط القصتين، لا تعدد النزول كما يفهم من كلام ابن كثير.

◊ **الثالث**: أنه اعتمد على سياق الآيات ومضمونها في عدم اعتماد هذه الرواية سببا لنزول الآيات

◊ **الرابع**: أن ابن عاشور لم يغتر بذكر الرواية في تفسير ابن عطية، وما رواه عن النقاش، ولا بذكر ابن العربي لها؛ ورأى أنه لا يمكن اعتمادها سببا لنزول الآيات والله أعلم.

وأخيرا فلعله قد اتضح لنا بعد تتبع هذه الرواية أن ابن العربي عندما ذكرها في كتابه أحكام القرآن وقال في نهايتها: "فنزلت آيات الظهار" إنما قصد بقوله تفسير الآيات وبيان ما فيها من أحكام، وأن حكمها لا يقتصر على من كانوا سببا في نزولها؛ وإنما يمتد ليشمل كل من صدر منه الظهار إلى قيام الساعة، وهو تطبيق مباشر للقاعدة الأصولية عند الفقهاء التي تقول: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ ولعل هذا يتشابك مع ما أشرنا إليه في حديثنا عن الإشكالات الواردة في صيغ أسباب النزول في المبحث السابق.

ولن نقف أمام توظيف ابن العربي لروايات أسباب النزول في استنباط الأحكام الفقهية، وتأصيلها، ولا بيانه لعلاقة أسباب النزول بعلوم القرآن الأخرى كالنسخ وغيره، فلذلك مواضع أخرى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الإشكالات في أسباب نزول الآية ٨ سورة المجادلة

يقول الله ﷻ في هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ**خطأ! لا يوجد نص من النمط المعين في المستند.**
ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [سورة المجادلة:٨].

من يقرأ هذه الآية يرى أنها تتناول الحديث عن النجوى، وقد سبقتها آيات في هذه السورة وفى غيرها تتحدث عن موضوع التناجي، أي: حديث اثنين أو أكثر دون الآخرين، ولأن أسباب نزول هذه الآية يرتبط بموضوع النجوى بصورة عامة لزمنا أن نذكر كل الآيات التي تناولت هذا الموضوع في سورة المجادلة يقول ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [سورة المجادلة:٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة المجادلة:٩].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة المجادلة:١٠].

وسيرا على المنهج الذي نبحث من خلاله الإشكالات في تطبيقات أسباب النزول في سورة المجادلة؛ فإننا سننظر في أقدم الروايات في كتب السنة، وذلك من خلال كتاب "المحرر من أسباب النزول في الكتب التسعة"، ثم ندرسها عند الطبري من خلال تفسيره جامع البيان، ثم عند الواحدي من خلال كتابه أسباب النزول، ثم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عند ابن العربي من خلال كتابه أحكام القرآن، وقد بينَّا آنفا أسباب اختيارنا لهذه الكتب دون غيرها لتكون مجالا للدراسة.

ففي "المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة" لم يذكر من الآيات السابقة سوى الآية رقم (٨) وهى التي يقول ﷻ فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٨﴾ وذكر لها ثلاثة أسباب نزول وهي:

◈ **السبب الأول:** أخرج مسلم وأحمد والترمذي عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: أتى النبيَّ –ﷺ– أُناس من اليهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم قال: (وعليكم) قالت عائشة: قلت: بل عليكم السام والذام فقال رسول الله –ﷺ–: (يا عائشة لا تكوني فاحشة) فقالت: ما سمعتَ ما قالوا؟ فقال: (أوليس قد رددتُ عليهم الذي قالوا؟ قلت: وعليكم).[١]

وفي لفظ له ففطنت بهم عائشة فسبَّتهم؛ فقال رسول الله –ﷺ–: (مه يا عائشة، فإن الله لا يحب الفحش والتفحش) وزاد فأنزل الله –ﷻ– (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ).. إلى آخر الآية.[٢]

◈ **السبب الثاني:** أخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله –ﷺ– سام عليك ثم يقولون في أنفسهم: (لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) فنزلت هذه الآية: (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ..).[٣]

◈ **السبب الثالث:** أخرج الترمذي عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– أن يهودياً أتى على النبي –ﷺ– وأصحابه، فقال: السام عليكم، فرد عليه القوم، فقال نبي الله –ﷺ–: (هل درون ما قال هذا؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، سلَّم يا نبي الله. قال: (لا

---

(١) صحيح مسلم رقم " " ٢١٦٥ ومسند الأمام أحمد ٦/٢٢٩، وسنن الترمذي . كتاب البر والصلة – باب ما جاء في الفحش والتفحش ٦/٩٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢١٦٥) من طريق يعلى بن عبيد، عن الأعمش به نحوه.

(٣) المسند ٢/١٧٠.

ولكنه قال كذا وكذا، ردوه عليَّ) فردوه فقال: (قلتَ: السام عليكم؟) قال: نعم، قال نبي الله –ﷺ– عند ذلك: إذا سلَّم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: عليك ما قلتَ قال: (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ).(١)

وبعد دراسته لهذه الأسباب الثلاثة انتهى الدكتور/ خالد المزيني إلى نتيجة مشكلة حيث يقول: (إن الأحاديث المذكورة ليست سببًا لنزول الآية لمخالفتها السياق القرآني من عدة وجوه؛ وإنما المراد منها الحديث عن حال المنافقين مع رسول الله – ﷺ – وأصحابه في إظهار مودتهم مع ما تنطوي عليه قلوبهم من الحقد الدفين والشر المستطير. والله أعلم.)(٢)

والإشكال هنا هو هذه النتيجة التي انتهى إليها، فالروايات التي ذكرها أسبابا للنزول صحيحة أو حسنة الأسانيد(٣)

وإنما أنكر أن تكونا سببا لنزول الآيات " لمخالفتها السياق القرآني من عدة وجوه" فهل كان إنكاره هذا صحيحا؟

وكان هذا التساؤل هو الداعي لدراسة هذه الأسباب في المصادر التي حددناها، وفى غيرها. فالطبري في تفسيره ذكر في هذه الآية . تحديدا . روايتين فقط وذكر في الآية الأخيرة رقم (١٠) رواية ثالثة لم يذكرها المزيني ربما لأنه لم يرها صحيحة؛ وسيأتي الحديث لاحقا عنها إن شاء الله.

والروايتان الواردتان عند الطبري تختلفان إسنادا ومتنا عما ذكره المزيني وهاك نصهما:

الرواية الأولى: قال الطبري وقوله: (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا جاءك يا محمد هؤلاء الذين نهوا عن النجوى، الذين وصف الله جلّ ثناؤه صفتهم، حيوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية ... أنهم كانوا يقولون: السام عليك. ذكر الرواية الواردة بذلك:

(١) سنن الترمذي ٩٣/٦ و المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (٢/ ٩٦٤).

(٢) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (٢/ ٩٦٤)

(٣) راجع تخريجها في كتب السنة نقلا عن تفسير البغوي وغيره

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حدثنا ابن حُميد وابن وكيع قالا ثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: "جاء ناس من اليهود إلى النبيّ ﷺ، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم وفعل، فقال النبيّ ﷺ: يا عائشة إنَّ الله لا يُحِبُّ الفُحش، فقلت: يا رسول الله، ألست ترى ما يقولون؟ فقال: "ألست ترينني أرد عليهم ما يقولون؟ أقول: عليكم " وهذه الآية في ذلك نزلت: (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ)(١)

الرواية الثانية: قال الطبري: وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت:" كان اليهود يأتون النبيّ ﷺ فيقولون: السام عليكم، فيقول: عليكم، قالت عائشة: السام عليكم وغضب الله، فقال النبيّ ﷺ: "إنَّ الله لا يحبُّ الفاحشَ المُتَفَحِّشَ"، قالت: إنهم يقولون: السام عليكم، قال: "إني أقول: عليكم"، فنزلت: (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ) قال: فإن اليهود يأتون النبي ﷺ، فيقولون: السام عليكم.)(٢)

والروايتان كما ترى عن أم المؤمنين عائشة، ولن نتعرض لدراسة أسانيد هاتين الروايتين فقد سبق دراستهما من غيرنا من الباحثين.

والروايتان تنصان على أن التحية الخبيثة الملتوية الملتبسة من اليهود كانت سببا في نزول الآية، وتحديدا في نزول قوله تعالى: (وإذا جاءوك ...) وقد صدرت من اليهود سواء كان فردا " يهودي " أو جماعة " من اليهود " ولم يجر للمنافقين ذكر. وعليه كان السبب المعتمد عند الطبري هو هذا الفعل اليهودي الخبيث.

---

(١) جامع البيان٢٣/ ٢٣٨.

(٢) جامع البيان ٢٣/٢٣٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فإذا انتقلنا إلى الواحدي وجدناه يذكر ثلاث روايات أسبابا لنزول قوله تعالى:

[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ .....] الآية وهي:

الرواية الأولى :- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: نَزَلَتْ **فِي الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ**، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَغَامَزُونَ بِأَعْيُنِهِمْ، فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ نَجْوَاهُمْ قَالُوا: مَا نَرَاهُمْ إِلَّا وَقَدْ بَلَغَهُمْ عَنْ أَقْرِبَائِنَا وَإِخْوَانِنَا الَّذِينَ خَرَجُوا فِي السَّرَايَا قَتْلٌ أَوْ مَوْتٌ أَوْ مُصِيبَةٌ أَوْ هَزِيمَةٌ، فَيَقَعُ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَيُحْزِنُهُمْ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَقْدَمَ أَصْحَابُهُمْ وَأَقْرِبَاؤُهُمْ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ وَكَثُرَ شَكَوْا إِلَى رسول اللَّه ﷺ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَتَنَاجَوْا دُونَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمْ يَنْتَهُوا عَنْ ذَلِكَ، وَعَادُوا إِلَى مُنَاجَاتِهِمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.(١)

الرواية الثانية: قَوْلُهُ تعالى: [وَإِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ..]

- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْخَشَّابُ... بسنده عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ إلى النبي ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقُلْتُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَفَعَلَ اللَّهُ بِكُمْ، فَقَالَ رسول اللَّه ﷺ: مَهْ يَا عَائِشَةُ! فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْتَ تَرَى مَا يَقُولُونَ؟ قَالَ: أَلَسْتِ تَرَيْنَ أَرُدُّ عَلَيْهِمْ مَا يَقُولُونَ؟ أَقُولُ: وَعَلَيْكُمْ! وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذلك: وَإِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ.(٢)

الرواية الثالثة: أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْغَازِي ... بسنده عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ يَهُودِيًّا أتى النبي ﷺ فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَرَدَّ الْقَوْمُ، فَقَالَ نبي اللَّه ﷺ: هَلْ تَدْرُونَ مَا قَالَ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ [سَلَّمَ] يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ قَالَ كَذَا وَكَذَا رُدُّوهُ عَلَيَّ، فَرَدُّوهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: قُلْتَ: السَّامُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ نبي اللَّه ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ، أَيْ عَلَيْكَ مَا قُلْتَ. فَنَزَلَ قَوْلُهُ تعالى: وَإِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ)(٣)

---

(١) أسباب النزول للواحدي ١/٤٣٠

(٢) أسباب النزول للواحدي ١/٤٣٠.

(٣) أسباب النزول للواحدي ١/٤٣٠، ٤٣١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولعلك ترى أن الرواية الأولى التي رواها الواحدي دون إسناد وإنما هكذا عن ابن عباس ومجاهد هي التي تنص على الجمع بين اليهود والمنافقين في التناجي - وليس في التحية - وكان هذا التناجي هو سبب نزول الآية، **ولنا هنا بعض الملاحظات:**

١. لم يذكر المزيني هذه الرواية كسبب من أسباب نزول الآية فهي إذن لا تصح عنده لأنها غير مسندة.

٢. إن الواحدي نص على قول ابن عباس ومجاهد ﵄: " نزلت في اليهود والمنافقين ..." وقد بينا فيما سبق أن الصحابي أو التابعي عندما يقول: نزلت في كذا لا يعنى سببا للنزول وإنما يعنى بيانا وتفسيرا للآية.

٣. إن الرواية تنص النجوى أو التناجي، ولا تشير إلى مسألة التحية بأية صورة من الصور.

٤. وعليه فيمكن اعتبار كلام ابن عباس ومجاهد ﵄ تفسيرا للآية لا سببا لنزولها.

وأما الروايتان الأخريان فقد ذكرهما المزيني وكما ترى تنصان بوضوح على أن قوله " وإذا جاءوك حيوك ..." سببه تحية اليهود الخبيثة.

فإذا انتقلنا إلى أبى بكر بن العربي فسنجده يقول: قَوْله تَعَالَى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنْ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا ..." الآية [المجادلة: ٨].

(لَا خِلَافَ بَيْنَ النَّقَلَةِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمْ الْيَهُودُ، كَانُوا يَأْتُونَ النَّبِيَّ -ﷺ- فَيَقُولُونَ: السَّامُ عَلَيْك؛ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ السَّلَامَ ظَاهِرًا، وَهُمْ يَعْنُونَ الْمَوْتَ بَاطِنًا، فَيَقُولُ النَّبِيُّ -ﷺ-: عَلَيْكُمْ [فِي رِوَايَةٍ]، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: وَعَلَيْكُمْ بِالْوَاوِ، وَهِيَ مُشْكِلَةٌ...

وَكَانُوا يَقُولُونَ: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا مَا أَمْهَلَنَا اللَّهُ بِسبِّهِ وَالِاسْتِخْفَافِ بِهِ؛ وَجَهِلُوا أَنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى حَلِيمٌ لَا يُعَاجِلُ مَنْ سَبَّهُ، فَكَيْفَ مَنْ سَبَّ نَبِيَّهُ.

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: «لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى الْأَذَى مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، يَدَّعُونَ لَهُ الصَّاحِبَةَ وَالْوَلَدَ، وَهُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ». **فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا كَشْفًا لِسَرَائِرِهِمْ**، وَفَضْحًا لِبَوَاطِنِهِمْ، وَمُعْجِزَةً لِرَسُولِهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ «أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى عَلَى النَّبِيِّ -ﷺ- وَعَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: أَتَدْرُونَ مَا قَالَ هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: قَالَ كَذَا؛ رُدُّوهُ عَلَيَّ، فَرَدُّوهُ. قَالَ: قُلْت: السَّامُ عَلَيْكُمْ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ- عِنْدَ ذَلِكَ: إذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: عَلَيْك مَا قُلْت». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذَا جَاءُوك حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} [المجادلة: ٨].(١)

ولم يعقب ابن العربي بعد ذلك بشيء لكن حديثه عن سبب نزول هذه الآية نستنبط منه ما يأتي:

١. إجماع النقلة الذى أشار إليه ابن العربي . يعنى بهم أهل الحديث . على أن الآية نزلت في اليهود، وهذا إجماع له قيمته وبخاصة عندما يصدر عن عالم كابن العربي المحقق المدقق.

٢. إن حديثه تركز على التحية الخبيثة الملتوية التي كان يلقيها اليهود على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين وهي قولهم: " السام عليكم " ولم يتناول مسألة المناجاة أو النجوى.

٣. خلو كلامه من الإشارة إلى المنافقين، لا تصريحا ولا تلميحا.

٤. ولم يذكر سوى رواية واحدة رآها هي السبب المعتمد عنده في نزول الآية وهذه الرواية تكرر ذكرها في مصادر عدة قبل ابن العربي وبعده، وهى إحدى الروايات التي ذكرها المزنى لكنه لم يعتمدها سببا لنزول الآية.

وبعد هذا العرض لروايات أسباب النزول في كتب السنة ـ اعتمادا على جمع المزيني ـ وعند الطبري، ثم الواحدي، ثم ابن العربي، فقد آن لنا نقف وقفة في تحرير هذا المسألة لننتهي منها إلى نتيجة أراها ـ والله أعلم ـ أرجح ما يمكن قوله فيها.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٤/ ١٩٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

◈ **تحرير المسألة:** هذه الآية تتحدث عن فريقين هما: اليهود والمنافقين، وتتحدث عن حدثين هما: النجوى والتحية، وتجعل الجميع في سياق واحد، إذ يقول ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٨﴾ [سورة المجادلة:٨].

وعندما ننظر في الآية نجد:

ـ نهيا لفريق من الناس ـ لم تحدده الآيات ـ عن النجوى بالسوء، ثم عودا لهذا الفريق إلى ما نهوا عنه وإصرارا على التناجي بالإثم والعدوان، والمعصية لأوامر رسول الله ﷺ.

ـ ممارسة نوع من هذه المعصية وهو التحريف والتبديل واللبس في ألفاظ التحية لرسول الله ﷺ.

ـ استهانة هذا الفريق من الناس بهذا العمل الشائن حتى أنهم يحدثون أنفسهم بهذه الاستهانة قائلين: إن الله لن يؤاخذنا بما نقوله من تلبيس وتحريف وتحوير في التحية.

ـ هذا الفريق المصر على هذا اللون من المعصية تكفيه نار جهنم وتكفيه نهاية السوء، وهو جزاء أخروي مع خزى دنيوي.

ولم نر في الآية تحديد أسماء، أو تمييزا، أو بيانا لهذا الفريق مما يجعل التحذير من هذا اللون من المعاصي عاما؛ لكن روايات أسباب النزول الصحيحة ذكرت لنا بعض الحوادث كانت سببا في نزول هذه الآية:

ـ ففي رواية مسلم ـ الصحيحة ـ **عن أم المؤمنين عائشة أن يهوديا أتى** رسول الله ﷺ فألقى عليه التحية قائلا: السام عليك! فرد الرسول ﷺ: وعليك. لكن أم المؤمنين عائشة ردت عليه بقولها: وعليك السام. فنهاها رسول الله ﷺ عن ذلك معتبرا أن ما قالته فحشا لا يحبه الله ﷻ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفى رواية . غير مسلم الحسنة . أن المنافقين كانوا إذا رأوا أحدا من المسلمين تصنعوا النجوى . الحديث مع بعضهم البعض سرا ـ حتى يلقوا في روعه أنهم يتحدثون عنه بسوء فيحزن لذلك.

والإشكال الذى أثاره بعض المعاصرين هو: هل سبب نزول الآيات كان فعل اليهودي وما قاله في تحيته لرسول الله ﷺ ورد أم المؤمنين عائشة عليه؟ أم كان سببه فعل المنافقين من التناجي؟

ومبعث السؤال وسببه هو التفريق بين فعل اليهود وفعل المنافقين، والخلط بين النجوى والتحية وعدم التفريق بينهما.

. أما النجوى: فحديث السر، وأما التحية فحديث علني باللسان، أو إشارة باليد أو كتابة بالقلم؛ فالخلط بينهما لا يصح.

. وأما من التفريق بين اليهود والمنافقين . وبخاصة في مسألة النجوى . غير صحيح؛ فاليهود تجمعهم بالمنافقين علاقات وطيدة تحدث عنها القرآن الكريم تبدأ بالمعية، ثم الموالاة... وتنتهي بالمؤاخاة، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الحشر مصورا هذا التآخي والتعاقد، والتعاهد بينهما فيقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١١﴾ [سورة الحشر:١١].

إن التآخي والتعاهد والتعاقد على معاداة المسلمين ورسولهم وكتابهم موجود وحاضر أبدا ما جمعتهم مواقف الحياة. فهل يستبعد اتفاقهم في مسألة النجوى؟

ـ والمتدبر في مسألة القول عند المنافقين في سورة المنافقين بصورة خاصة يرى أنهم يحرصون على الحديث بالصوت العالي المسموع الذى يعبر عن معسول الكلام المزركش وفى ذلك يقول ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ وقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [سورة المنافقون ١، ٤].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأما الناظر في شأن القول والحديث عند اليهود فسنجد أن من طبيعتهم تبديل الكلام والخبث فيه، وتحريفه وليّه، والخروج به عن معناه ومرماه؛ ولذلك لما كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: راعنا وكان بعض المسلمين يقلدهم في ذلك متوهما أنهم يقصدون منها: انظر إلينا. فنهى الله المؤمنين عن ذلك قائلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾ [سورة البقرة:١٠٤]؛ لأن اليهود في قيلهم: راعنا قصدوا الرعونة، لا المراعاة، وذاك دأبهم في الخبث وتحريف الكلام وليه. فنهى الله المؤمنين عن متابعتهم.(١)

كما أن مواقف اليهود في مسألة الحديث مع النبي ﷺ أو الحوار معه تؤكد خبثهم وليهم للكلام عن عمد وقصد، وقد سجل القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦﴾ [سورة النساء:٤٦].

فهذا نموذج آخر من أقوالهم مع رسول الله ﷺ؛ فقولهم: " وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ" كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وعلى آله: اسمع لا سمعت.

"وَراعِنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ" أراد أنهم يحرفون «راعنا» من طريق المراعاة والانتظار إلى السب بالرعونة. وَاسْمَعْ وَانْظُرْنا أي لو قالوا: اسمع وانظرنا. أي لو قالوا: اسمع ولم يقولوا: لا سمعت، وقالوا: انظرنا- أي انتظرنا- مكان راعنا. لَكانَ خَيْراً لَهُمْ."(٢)

---

(١) قال ابن قتيبة في غريب القرآن (لا تَقُولُوا راعِنا): من «رعيت الرجل»: إذا تأمّلته، وعرّفت أحواله. يقال: أرعني سمعك. وكان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ: أرعني سمعك. وكان اليهود يقولون: راعنا- وهي بلغتهم سب لرسول الله ﷺ بالرّعونة- وينوون بها السبّ، فأمر الله المؤمنين أن لا يقولوها، لئلا يقولها اليهود، وأن يجعلوا مكانها انْظُرْنا أي انتظرنا. يقال: نظرتك وانتظرتك بمعنى. ومن قرأها «راعنا» بالتنوين، أراد: اسما مأخوذا من الرّعن والرّعونة، أي لا تقولوا: حمقا ولا جهلا. غريب القرآن ٥٨/١.

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ١١٢/١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فإذا تدبرنا المسألة في ضوء هذا البيان القرآني فلا نخلط بين النجوى والتحية، ولا نفرق بين المنافقين واليهود انتهينا إلى أن ما ورد من روايات صحيحة في سبب نزول قوله تعالى في سورة المجادلة: " وإذا جاءوك حيوك ..." من أنه فعل اليهودي أو بعضهم هو قول صحيح وبخاصة أن الرواية الواردة به صحيحة.

وأن ماورد من روايات تشير إلى تناجى المنافقين مع اليهود ـ في غير ما ذكرنا من المصادر ـ هي أيضا أسبابا صحيحة وأنها تتفق مع سياق الآية القرآنية التي بدأت بالحديث عن النجوى، وتلته ببيان تحية خبيثة من اليهود كنتيجة من نتائجها، وانتهت ببيان جزاء الفريقين والله، أعلى وأعلم.[١] وقال الأستاذ محمد عزت دروزة بعد عرضه لتفسير هذه الآيات وما ورد فيها من أسباب للنزول : (وهكذا تكون الروايات والحديث قد قسمت الآية الثانية إلى قسمين وجعلت لنزول كل قسم مناسبة خاصة، هذا في حين أن قوة الانسجام ظاهرة بين الآيات الأربع بحيث تسوغ ترجيح نزولها دفعة واحدة.

وهذا لا ينقض صحة الحديث والرواية؛ حيث يصح القول إن ما روي جميعه قد وقع قبل نزول الآيات مع شيء آخر هو ما تفيده الآية الثانية من نهي الفريق المعني فيها عن التناجي الآثم فلم يرتدع، فاقتضت حكمة التنزيل إنزال الآيات الأربع منبهة منددة منذرة مرشدة ومطمئنة...

ومع أن الروايات والأحاديث تذكر أن اليهود هم الذين كانوا يحيون النبي بما لم يحيّه به الله، فإن الجملة القرآنية شاملة للذين حكت تناجيهم بالإثم والعدوان، وروت الرواية أنهم كانوا فريقا خليطا من المنافقين واليهود فإما أن تكون الآية احتوت الإشارة إلى هذا في مناسبة التنديد بتناجي هذا الفريق الخليط الآثم. أو أن المنافقين أيضا صاروا يقلدون اليهود في تحيتهم الخبيثة... وعلى كل حال ففي الآية الثانية بخاصة صورة للمواقف الخبيثة التي كان يقفها اليهود والمنافقون ضد النبي والمخلصين والتي حكت مثلها آيات كثيرة مرّت أمثلة عديدة منها.)[٢]

---

(١) راجع بحثنا علاقة المنافقين باليهود في ضوء القرآن الكريم نشر موقع الألوكة ٢٠٢٢/١/٢٤م.

(٢) التفسير الحديث (٨/ ٤٨٠) بتصرف يسير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أسباب نزول الآية العاشرة من سورة المجادلة

في قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ [سورة المجادلة:١٠].

لم يذكر الدكتور المزيني فيها شيئا، وإنما ذكر الطبري في سبب نزولها روايتين:

الرواية الأولى: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا): **كان المنافقون يتناجون** بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم، فأنزل الله في ذلك القرآن: (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا) ... الآية.

الرواية الثانية: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: كان المسلمون إذا **رأوا المنافقين خلوا يتناجون**، يشقّ عليهم، فنزلت: (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا).(١)

وتبين من دراسة أسانيد هاتين الروايتين تبين أنهما ضعيفتان؛ فالأولى مرسلة، والثانية معضلة.(٢)

ولم يذكر الواحدي، ولا ابن العربي فيها شيئا.

والإشكال هنا هو تسرب هاتين الروايتين الضعيفتين إلى كتب التفسير

فقد أخرجها أبو الليث السمرقندي" ت ٣٧٣ هـ" (عن قتادة قال: إذا رأى المسلمون المنافقين جاءوا متناجين، فشق عليهم، فنزل إِنَّمَا النَّجْوى مِنَ الشَّيْطانِ نجوى المنافقين في المعصية من الشيطان.)(٣)

وأخرجها ابن أبي زمنين وعزاها إلى الكلبى - وهو ساقط الرواية -

(١) جامع البيان (٢٣/ ٢٤٢).

(٢) راجع دراسة أسانيدهما في كتاب أسباب النزول عند الطبري حاشية صـ ١٠٥٧ وأخرجها - مختصرة - مكي بن أبي طالب " ت ٤٢٧ هـ " والسيوطي عن قتادة أيضا.

(٣) راجع بحر العلوم ٤١٧/٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال: (إِن الْمُنَافِقين كَانُوا إِذا غزا رَسُول الله ﷺ أَو بعث سَرِيَّة يتغامزون بِالرجلِ إِذا رَأَوْهُ، وَعَلمُوا أَن لَهُ حميمًا فِي الْغَزْو، فيتناجون وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَيَقُول الرجل: مَا هَذَا إِلَّا شيءٌ قد بَلغهُمْ من حميمي، فَلَا يزَال من ذَلِك فِي غمّ وحزن، حَتَّى يقدم حميمه؛ فَأنْزل الله هَذِه الْآيَة).(١)

وقد تتبعت وجودها فيما بين يدى من تفاسير فلم أجد أحدا قد رواها غير ما سبق ذكره والله أعلم.

أسباب النزول الآية ١١ من سورة المجادلة

هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [سورة المجادلة:١١].

هذه الآية لم يرد لها سبب نزول في كتب السنة التسعة التي درسها الدكتور خالد المزيني، ولم يذكر الطبري لها سبب نزول أيضا؛ وإنما ذكر الواحدي سببا واحدا في نزولها، ولم يذكره مسندا وإنما نسبه إلى مقاتل بن حيان مباشرة ونصه:

(قَالَ مُقَاتِلٌ: كان النبي ﷺ فِي الصُّفَّةِ، وَفِي الْمَكَانِ ضِيقٌ وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ رسول الله ﷺ يُكْرِمُ أَهْلَ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَجَاءَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَقَدْ سُبِقُوا إِلَى الْمَجْلِسِ، فَقَامُوا حِيَالَ النبي ﷺ عَلَى أَرْجُلِهِمْ يَنْظُرُونَ أَنْ يُوَسَّعَ لَهُمْ فَلَمْ يُفْسِحُوا لَهُمْ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رسول الله ﷺ، فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ بَدْرٍ: قُمْ يَا فُلَانُ وَأَنْتَ يَا فُلَانُ. فَأَقَامَ مِنَ الْمَجْلِسِ بقدر النفر الذين قَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى مَنْ أُقِيمَ مِنْ مجلسه وعرف رسول الله ﷺ الْكَرَاهِيَةَ فِي وُجُوهِهِمْ، **فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ لِلْمُسْلِمِينَ:** أَلَسْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ صَاحِبَكُمْ يَعْدِلُ بين الناس؟ فو الله مَا

---

(١) تفسير القرآن العزيز (٤/ ٣٦٠) لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، ابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩ هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، وراجع الهداية لمكي. ٧٣٦٣/١١ والدر للسيوطي ٨١/٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عَدَلَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ: قَوْمٌ أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ وَأَحَبُّوا الْقُرْبَ مِنْ نَبِيِّهِمْ، أَقَامَهُمْ وَأَجْلَسَ مَنْ أَبْطَأَ عَنْهُمْ مَقَامَهُمْ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَة.)(١)

والإشكال في هذه الرواية ما يلي:

١. أنها مرسلة، والحديث المرسل ضعيف، فإذا كان هذا المرسل عن مقاتل بن حيان(٢) الذى اتهم برواية المناكير فهي واهية السند.

٢. أن الواحدي نفسه قد رواها في تفسيره الوجيز دون إسناد البتة، وإنما قال:" نزلت في قومٍ كانوا يبكرون إلى مجلس رسول الله ﷺ ..."، ولم يذكر فيها أوامر النبي ﷺ قم يا فلان، وقم يا فلان، ولم يذكر فيها موقف المنافقين وتعييرهم المسلمين بذلك وإنما قال:

"وكان رسول الله ﷺ يحبُّ أن يُكرم أهل بدرٍ فدخلوا يوماً فقاموا بين يديه ولم يجدوا عنده مجلساً ولم يقم لهم أحدٌ من هؤلاء الذين أخذوا مجالسهم فكره النبيُّ عليه السلام ذلك فنزلت هذه الآية.)(٣)

واختلاف لفظ هذه الرواية بهذه الصورة يجعلها مضطربة المتن أيضا.

ولما تتبعت مصدرها قبل الواحدي فوجدت أول من رواها . حسب علمي . هو ابن أبي حاتم في تفسيره ولم يذكر فيها موقف المنافقين، وإنما ذكر أوامر النبي ﷺ قم يا فلان، وقم يا فلان.

وقد ذكر ابن أبى حاتم رواية أخرى عن قتادة قال فيها: (عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا الْآيَةَ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي مَجَالِسِ الذكر، وذلك أنهم كانوا إِذَا رَأَوْا أَحَدَهُمْ مُقْبِلًا ضَنُّوا بِمَجَالِسِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَفْسَحَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ).(٤)

(١) أسباب النزول للواحدي ٤٣٢/١.

(٢) راجع ترجمة مقاتل في سير أعلام النبلاء ٣٤١/٦

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ١٠٧٦/١.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٣٣٤٣/١٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهذه الرواية الأخيرة التي رواها ابن أبى حاتم عن قتادة مرسلة فهي ضعيفة أيضا؛ لاختلاف درجة التوثيق لقتادة رحمه الله[١]

ومن الغريب أن رواية الواحدي المرسلة الضعيفة التي رواها عن مقاتل رواها من المفسرين قبله ـ غير ابن أبى حاتم كل من: ـ الماتريدي "ت٣٣٣ هـ " وقال مقاتل: أقبل نفر من الأنصار ممن شهد بدرًا...)[٢]

ـ الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) كان النبي (عليه السلام) في الصفّة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة، وكان رسول الله ﷺ يكرم أهل بدر...)[٣]

وظل المفسرون يروون هذه الرواية في تفاسيرهم منذ رواية ابن أبي حاتم لها (ت ٣٢٧ هـ) حتى عصرنا الحاضر فقد رواها كل من:

١ـ البغوي ٥١٠ هـ قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ...[٤]

٢ـ ابن عطية ت ٥٤٢ هـ وقال مقاتل...[٥]

٣ـ ابن الجوزي ٥٩٧ هـ قال المفسرون...[٦]

٤ـ الرازي ٦٠٦ هـ ذَكَرُوا فِي سَبَبِ النُّزُولِ وُجُوهًا الْأَوَّلُ: قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ..[٧]

٥ـ القرطبي ٦٧١ هـ وَقَالَ مُقَاتِلٌ...[٨]

---

(١) راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٦٩/٥.

(٢) تأويلات أهل السنة ٥٧٣/٩.

(٣) الكشف والبيان وقد نسبها الثعلبي لمقاتل بن حيان، ومقاتل بن دعامة له مناكير ٢٥٩/٩.

(٤) معالم التنزيل٤٤/٥ وفى حاشيتها قال المحقق: ضعيف جدا. ذكره المصنف هاهنا تعليقا عن مقاتل وإسناده إليه في أول الكتاب. وعزاه ابن كثير ٤/ ٣٨٣- ٣٨٤ لابن أبي حاتم عن مقاتل، وهذا مرسل، ومقاتل ذو مناكير، وهذا منها.

(٥) المحرر الوجيز ٢٧٨/٥.

(٦) زاد المسير.٢٤٧/٤.

(٧) التفسير الكبير .٤٩٣/٢٩.

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٧/١٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٦. ابن كثير ٧٧٤ هـ وقال: قال مقاتل بن حيان...إلخ[١]

٧. السيوطي (ت٩١١ هـ) قال مقاتل...إلخ[٢]

٨. أحمد مصطفى المراغي (ت ١٣٧١ هـ) قال: أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان ... إلخ[٣]

٩. الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣) رُوِيَ عَنْ مُقَاتِلٍ أَنَّهُ قَالَ...إلخ[٤]

١٠. محمد عزة دروزة (ت ١٩٨٤م) وقال (قد روى المفسرون أن المسلمين كانوا يتحلقون حول النبي ﷺ ويتزاحمون على التقرب منه فكان يأتي آخرون فلا يجدون مكانا فيظلون وقوفا وكان النبي يرغب في تكريم بعض كبار أصحابه أو رجال بدر في مجالسه فيطلب من أحد الجالسين إعطاء مجلسه لغيره فيستثقل ويكره فأنزل الله الآية ليكون فيها تأديب وتطييب)[٥]

وما وجدت لها نقدا إلا عند الدكتور / عبد الكريم الخطيب (ت ١٣٩٠ هـ) في تفسيره حيث يقول: (ويذكر المفسرون لهذه الآية سببا للنزول، فيقولون: إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، كان في مجلس وحوله بعض أصحابه، **فجاء بعض وفود العرب إلى النبي**، فسلموا فرد النبي والمسلمون عليهم السلام، ولم يفسح لهم أحد مكانا في المجلس، فلما رأى النبي ذلك، قال: قم يا فلان وقم يا فلان ويا فلان.. ثم دعا الوفد إلى الجلوس.. قالوا، فساء ذلك المسلمين الذين دعوا إلى القيام من مجلسهم، وشنع المنافقون واليهود على المسلمين بهذا، وقالوا لهم فيما قالوا: كيف يقول نبيكم إنما المؤمنون إخوة، ثم يكون منه هذه التفرقة في المعاملة بين أصحابه، فيخرج بعضا من المجلس دون بعض؟ وهذه المقولات التي تروى عن سبب نزول الآية الكريمة تبدو- على إطلاقها- واهية، لا معقول لها. وذلك:

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٦/٨

(٢) الدر المنثور (٦/ ١٨٤).

(٣) تفسير المراغي ج٢٨ صـ١٦

(٤) التحرير والتنوير ٣٧/٢٨.

(٥) التفسير الحديث ٤٨٢/٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أولا: أنه ليس من أخلاق العرب أن يفد عليهم وافد ثم لا يلقونه بالترحيب والاحتفاء، عدوّا كان أو صديقا.. فكيف بمن يفد على النبي؟ أفيعقل أن يفد على النبي وافد وهو بين أصحابه، ثم لا يلقاه أصحابه بالحفاوة والتكريم، ولا يفسحون له مكانا بينهم؟ ذلك محال.

وثانيا: أيكون من أدب صحابة رسول الله، الذين يجلسون إليه أن تجمد مشاعرهم هذا الجمود، فلا يتحركون لوافد يفد على الرسول، حتى يدعوهم الرسول هذه الدعوة التي يخرجهم بها من مجلسه؟

وثالثا: أيكون من أدب النبوة أن يجرح الرسول بعض صحابته هذا الجرح الغائر، فيخرجهم عن أماكنهم، ويلقى بهم خارج المجلس؟ إنه لو اضطر الرسول الكريم إلى مثل هذا الموقف، لكان من تدبيره– صلوات الله وسلامه عليه– أن يتحول بأهل المجلس جميعا إلى مكان متّسع غير هذا المكان، ثم لأخذ بيد ضيفه الوافدين عليه، ولأنزلهم منزلهم في المجلس الجديد.. القول هنا ليس بلسان المقال، وإنما هو بلسان الحال. ومعنى هذا أنه إذا وجد المسلمون في مجلس، ثم دعت الحال إلى أن يدخل عليهم غيرهم، كان واجبا عليهم أن يفسحوا لهذا الغير، وأن يسعوه في مجلسهم، دون أن يقال لهم افسحوا.. فإن الانتظار إلى أن يقال لهم هذا القول لا يليق بالمؤمنين، فذلك أمر لا يكون إلا عن طباع بليدة، ونفوس جفّت مشاعر الإنسانية فيها...)(١)

وهذا النقد الذى وجهه الدكتور/ الخطيب لهذه الرواية سندا ومتنا قد بناه على أن وفودا أتوا إلى رسول الله ﷺ، وأن المسلمين ضنوا بمجالسهم دون هؤلاء الوافدين! والحق أن الرواية التي نحن بصددها والتي تناقلها المفسرون كسبب لنزول هذه الآية لم تشر من قريب أو بعيد إلى مسألة الوفود.

والأولى ـ والله أعلم ـ أن لا تقبل هذه الرواية سببا لنزول هذه الآية لضعف سندها، ولكونها لا تتسق مع نص الآية القرآنية التي لم تشر إلى المنافقين، ولأنها ـ أي هذه الرواية ـ تتنافى مع الأدب النبوي الوارد في قوله ﷺ قَالَ: " لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ٨٣٢/١٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ فَيَجْلِسَ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وتَوسَّعوا".[١] فحاشا لرسول الله ﷺ أن ينهى عن فعل ويأتي هو به!

وقبل أن ننتقل إلى الموضع الخامس من سورة المجادلة فإننا نشير إلى أن ابن العربي لم يذكر سببا لنزول هذه الآية وإنما نص على عموم الحكم فيها فقال: (وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ: إنَّ الْآيَةَ فِي مَجْلِسِ النَّبِيِّ -ﷺ- وَمَجَالِسِنَا هَذِهِ، وَإِنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ ...وَالْعُمُومُ أَوْقَعُ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَأَوْلَى بِمَعْنَى الْآيَةِ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ)[٢]

(١) أخرجاه في الصحيحين عن نافع عن ابن عمر وهو في صحيح البخاري برقم (٦٢٦٩) وصحيح مسلم برقم (٢١٧٧).

(٢) أحكام القرآن ٢٠١/٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أسباب نزول الآيتين: ١٢، ١٣ من سورة المجادلة

في المصدر الأول من مصادر البحث الأربعة التي نعتمد عليها فصل الدكتور/ المزيني في كتابه " المحرر في أسباب النزول من الكتب التسعة " بين هاتين الآيتين، فتحدث عن الآية رقم " ١٣ " فقط، ولم يتعرض للآية رقم " ١٢" على الرغم من أن الآيتين متصلتان في سياق موضوعي واحد ففي الآية "١٢" جاء النداء موجها ومخاطبا للمؤمنين فقال ﷻ فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ [سورة المجادلة:١٢].

وفى الآية "١٣ " كان الاستفهام الاستنكاري موجها لهم أيضا؛ فقال ﷻ: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ ...﴾

وإضافة إلى ذلك فإن الدكتور/ المزيني نقل الرواية التي جمعت بين الآيتين معا ولا أعلم سبب التفريق بينهما؟

يقول الدكتور المزيني: قال الله تعالى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾ [سورة المجادلة:١٣].

◆ سَبَبُ النُّزُولِ:

أخرج الترمذي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: لما نزلت: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) [المجادلة ١٢] قال لي النبي -عليه السلام-: (ما ترى. دينار؟) قلت: لا يطيقونه، قال: (فنصف دينار؟) قلت: لا يطيقونه. قال: (فكم؟) قلت: شعيرة. قال: (إنك لزهيد) قال: فنزلت: (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) [المجادلة ١٣] قال: فبي خفف الله عن هذه الأمة.)

وبعد دراسته لهذا السبب سندا ومتنا يقول د/ المزيني: (والظاهر - والله أعلم - أن هذا الحديث لا يصح أن يكون سبباً لنزول الآية لما يلي:

١ - أن إسناد الحديث ضعيف...

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢ - أن سياق الحديث يقتضي أن الذي أشفق من ذلك هو علي -رضي الله عنه- والناظر في سياق الآية يجده يفيد العموم.

٣ - أن الحديث يوحي بأن عليا أرحم بالناس من رسول الله ﷺ؛ وهذا غير صحيح... فليس أرحمَ بالناس من الناس أحدٌ من رسول الله -ﷺ- يقول الله تعالى عنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

وانتهي إلى أن الحديث المذكور ليس سببا لنزول قوله تعالى: (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) لضعف إسناده، وعدم موافقته السياق القرآني والمشهور من حال النبي -ﷺ- من عدة وجوه.(١)

وهذه النتيجة التي انتهي إليها الدكتور/ المزيني بعد دراسته لهذا السبب سندا ومتنا نتيجة صحيحة لا إشكال فيها؛ **لكن الإشكال يتمثل دائما في** تداول وانتقال هذا السبب مع ما فيه ـ مما بينه الدكتور ـ في كتب التفسير، بل ربما سنرى في أسباب نزول الآيات التالية لهذه الآية وهي المسندة في أغلبها إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ما ينم عن **رائحة التشيع وسيأتي ذلك في موضعه إن شاء الله.**

وفى تفسير الطبري للآيتين "١٢، ١٣" معا، ذكر ثلاث روايات:

❁ **الرواية الأولى عن قتادة،** وليس فيها ذكر لعلي رضي الله عنه، وإنما قال: (حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) قال: سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، فوعظهم الله بهذه الآية، وكان الرجل تكون له الحاجة إلى نبيّ الله ﷺ، فلا يستطيع أن يقضيها، حتى يقدّم بين يديه صدقة، فاشتدّ ذلك عليهم، فأنزل الله عز وجل الرخصة بعد ذلك (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(٢)

❁ **الرواية الثانية: عن ابن عباس** وفى إسنادها علي رضى الله عنه ولم يُذكَر في متنها وجاء فيها :(حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية،

---

(١) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (٢/ ٩٧٠، ٩٧١ (بتصرف)

(٢) جامع البيان٢٣/٢٤٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) ، وذاك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ، حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه؛ فلما قال ذلك صبر كثير من الناس، وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) ، فوسع الله عليهم، ولم يضيق)[١]

❖ **الرواية الثالثة:** وهي التي نقلها الدكتور المزيني آنفا عن الترمذي وقد ذكرنا ـ نقلا عنه ـ أنها لا تصح سندا ولا متنا فلا يعتد بها سببا لنزول الآيتين.[٢]

وهنا نلاحظ أن الرواية الأولى فعلى الرغم من كونها ضعيفة الإسناد لأنها مرسلة عن قتادة رضي الله عنه فإنها تتسق مع سياق الآية ومضمونها، وأما الرواية الثانية فهي حسنة الإسناد إلى ابن عباس رضى الله عنه، وهي تتسق مع سياق الآية ومضمونها أيضا ولا نجد في متنها ذكرا لعلي رضى الله عنه، وأرى . والله أعلم ـ أنها أوثق وأصح الروايات التي يجب اعتمادها سببا لنزول الآية دون الروايتين الأخريين.[٣]

وإذا تابعنا البحث ففي أسباب النزول للواحدي نجد روايتين لهاتين الآيتين:

الرواية الأولى: قال الواحدي:(قوله ﷻ: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ ..." الْآيَةَ. [١٢المجادلة]. قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي الْأَغْنِيَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يأتون النبي ﷺ فَيُكْثِرُونَ مُنَاجَاتَهُ وَيَغْلِبُونَ الْفُقَرَاءَ عَلَى الْمَجَالِسِ، حَتَّى كَرِهَ رسول الله ﷺ ذَلِكَ مِنْ طُولِ جُلُوسِهِمْ وَمُنَاجَاتِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تبارك وتعالى هَذِهِ الْآيَةَ، وَأَمَرَ بِالصَّدَقَةِ عِنْدَ الْمُنَاجَاةِ، فَأَمَّا أَهْلُ الْعُسْرَةِ فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أَهْلُ الْمَيْسَرَةِ فَبَخِلُوا، وَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أصحاب النبي ﷺ، فَنَزَلَتِ الرُّخْصَةُ.)[٤]

والرواية ضعيفة الإسناد مختلفة المتن عما سبق من روايات إذ جعلت السبب في نزول الآية حرص الأغنياء على مناجاة الرسول ﷺ ثم وصفهم في نهاية الرواية

---

(١) جامع البيان ٢٣/٢٤٩.

(٢) جامع البيان ٢٣/٢٤٩.

(٣) راجع تخريج هذه الروايات والحكم علي أسانيدها في " أسباب النزول في تفسير الطبري حاشية صـ ١٠٥٨.

(٤) أسباب النزول للواحدى ١/٤٣٢ تحقيق زغلول.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بالبخل! وهذا لا يليق بمقام أغنياء الصحابة آنذاك كما أن الخطاب في الآية عام للذين آمنوا غير مشعر باختصاص الأغنياء منهم بشيء؛ ولذلك فالرواية مع ضعف إسنادها فإنها لا تتفق مع مضمون الآية وسياقها. ومن ثم لا يعتد بها سببا لنزول الآية.

الرواية الثانية: قال الواحدي: (وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﵁: إِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَآيَةً مَا عَمِلَ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي، وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أحد بعدي: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ...} كَانَ لِي دِينَارٌ فَبِعْتُهُ بِدَرَاهِمَ وَكُنْتُ إِذَا نَاجَيْتُ الرَّسُولَ تَصَدَّقْتُ بدرهم حتى نفذ، فَنُسِخَتْ بِالْآيَةِ الْأُخْرَى: {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ...} الآية)(١)

وعبارة الواحدي الأخيرة التي قال فيها: {فَنُسِخَتْ بِالْآيَةِ الْأُخْرَى: {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ...} الآية تثير **إشكالا مؤداه: ما العلاقة بين سبب النزول والآية المنسوخة؛** فهل كانت الآية الأولى سببا في نزول الآية الثانية؟ فالواحدي هنا لم يشر من قريب أو بعيد إلى سبب النزول وإنما عبر عنه بقوله: فنُسِختْ بالآية الأخرى فهل يعنى ذلك أن عدم العمل بالآية الأولى المنسوخة يكون سببا في نزول الآية التالية الناسخة؟ أم هو اصطلاح علمي يراه الواحدي فإذا قال: "نسخت الآية كذا الآية كذا "؛ فتكون الآية المنسوخة سببا في نزول الآية الناسخة؟

وقد تتبعت هذه الرواية في كتب السنة التي لم يرجع إليها الدكتور/ المزيني فوجدتها في المستدرك على الصحيحين للحاكم (ت٤٠٥ هـ) فقد أخرجها بسنده ...عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: (قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﵁، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَآيَةً مَا عَمِلَ بِهَا أَحَدٌ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي، آيَةُ النَّجْوَى» {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً } [المجادلة: ١٢] الْآيَةَ. قَالَ: كَانَ عِنْدِي دِينَارٌ فَبِعْتُهُ بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ فَنَاجَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُنْتُ كُلَّمَا نَاجَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَايَ دِرْهَمًا، ثُمَّ نُسِخَتْ فَلَمْ

(١) أسباب النزول ٤٣٢/١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ فَنَزَلَتْ {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} [المجادلة: ١٣] الْآيَةَ «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»(١)

وواضح من المقارنة بين النصين: نص الواحدي ونص الحاكم ما يلي:

ـ أن الواحدي اختصر الرواية وأسندها إلى علي رضى الله عنه مباشرة دون ذكر سلسة الإسناد.

ـ أن رواية الواحدي فيها عبارة " فنسخت بالآية الأخرى " بينما عند الحاكم: " ثُمَّ نُسِخَتْ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ فَنَزَلَتْ {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ...." الآية. فهذا يدل على أن الواحدي عبر عن سبب النزول بالنسخ، وهي عبارة تدل على التلاقي بين علمين من علوم القرآن الكريم وهما: علم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ. وهي من المسائل الجديرة بالبحث.

ـ أن هذه الرواية التي أوردها الواحدي نقلا عن الحاكم كسبب من أسباب نزول الآية صحيحة الإسناد، لكنها أقرب إلى كونها تفسيرا لكيفية العمل بالآية وهو ما تبدى فيما فعله على رضى الله عنه.

ـ وإضافة إلى كل ما سبق ففي رواية الحاكم نجد قوله: ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وأرجح أن هذه العبارة مقحمة في الرواية لأن على رضى الله عنه يحكى عن نفسه ويبين موقفه من مناجاة رسول الله ﷺ، ولم يصدر عن رسول الله ﷺ في هذه الرواية شيئا.

ومع ذلك فقد **وجدنا الإمام ابن العربي** في أحكامه يصف كل الروايات التي ورد فيها ذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه بعدم الصحة فيقول: قَوْله تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نَاجَيْتُمْ الرَّسُول فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المجادلة: ١٢]... رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَلْقَمَةَ الْأَنْمَارِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا

---

(١) المستدرك ٥٤٢/٢ حديث رقم " ٣٧٩٤"[التعليق – من تلخيص الذهبي] ٣٧٩٤ – على شرط البخاري ومسلم)

شبكة الألوكة ـ قسم الكتب

نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً} [المجادلة: ١٢] قَالَ لِي النَّبِيُّ -ﷺ-: دِينَارٌ ؛ قُلْت: لَا يُطِيقُونَهُ... قَالَ: فَبِي خَفَّفَ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ».

وَقَدْ رُوِيَ [عَنْ] مُجَاهِدٍ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَصَدَّقَ فِي ذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، تَصَدَّقَ بِدِينَارٍ، وَنَاجَى رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- وَرُوِيَ [أَنَّهُ تَصَدَّقَ] بِخَاتَمٍ، **وَهَذَا كُلُّهُ لَا يَصِحُّ.**

وَقَدْ سَرَدَ الْمَسْأَلَةَ كَمَا يَجِبُ " أَسْلَمُ " فِي رِوَايَةِ " زَيْدِ ابْنِهِ " عَنْهُ. قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- لَا يَمْنَعُ أَحَدًا مُنَاجَاتَهُ... وَكَانَتْ الْأَرْضُ كُلُّهَا حَرْبًا عَلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ -ﷺ- وَهُمْ حَوْلَهُ. فَيَقُولُ لَهُم: أَتَدْرُونَ لِمَ نَاجَى فُلَانٌ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-؟ إنَّمَا نَاجَاهُ؛ لِأَنَّ جُمُوعًا كَثِيرَةً مِنْ بَنِي فُلَانٍ وَفُلَانٍ قَدْ خَرَجُوا لِيُقَاتِلُوكُمْ. قَالَ: فَيُحْزِنُ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ. وَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: إنَّمَا مُحَمَّدٌ أُذُنٌ سَمَّاعَةٌ يَسْمَعُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ يُنَاجِيهِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ... {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [المجادلة: ٩] {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}[المجادلة: ١٠] فَلَمْ يَنْتَهُوا عَنْ الْمُنَاجَاةِ؛ **فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ} [المجادلة: ١٢] لِيَنْتَهِيَ أَهْلُ الْبَاطِلِ عَنْ مُنَاجَاةِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-. وَعَرَفَ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْبَاطِلِ لَا يُقَدِّمُونَ بَيْنَ يَدَيْ نَجوَاهُمْ صَدَقَةً؛ فَانْتَهي أَهْلُ الْبَاطِلِ عَنْ النَّجْوَى، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ الْحَوَائِجِ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَقَالُوا: لَا نُطِيقُهُ، فَخَفَّفَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ **وَنَسَخَتْهَا آيَةُ:** {فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} [المجادلة: ١٣].

وَهَذَا الْخَبَرُ مِنْ زَيْدٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَحْكَامَ لَا تَتَرَتَّبُ بِحَسَبِ الْمَصَالِحِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: {ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ} [المجادلة: ١٢] [ثُمَّ نَسَخَهُ مَعَ كَوْنِهِ خَيْرًا وَأَطْهَرَ] ... لَكِنَّ رَاوِيَ الْحَدِيثِ عَنْ زَيْدٍ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَدْ ضَعَّفَهُ الْعُلَمَاءُ.)[١]

(١) مختصرا من أحكام القرآن العربي ط العلمية (٤/ ٢٠٢)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومما يلاحظ في كلام ابن العربي رحمه الله:

ـ إن الآية التي نزلت لتنسخ حكم تقديم الصدقة الخطاب فيها للمؤمنين، ولا علاقة لها بالمنافقين.

ـ إن سياق الحديث ومحتواه أقرب إلى تفسير الآيات منه إلى بيان سبب نزولها

ـ إن سياق الآية وسياق الرواية التي جعلها سببا في نزولها لا يتفقان إلا بكثير من التكلف.

ـ إن الحديث ضعيف باعتراف ابن العربي نفسه فقد عقب عليه بقوله: (لَكِنَّ رَاوِيَ الْحَدِيثِ عَنْ زَيْدٍ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَدْ ضَعَّفَهُ الْعُلَمَاءُ.)

ـ إن هدف الاستشهاد عند ابن العربي هو إبراز القاعدة الفقهية التي توصل إليها وهي قوله (إنَّ الْأَحْكَامَ لَا تَتَرَتَّبُ بِحَسَبِ الْمَصَالِحِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: {ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ} [المجادلة: ١٢] [ثُمَّ نَسَخَهُ مَعَ كَوْنِهِ خَيْرًا وَأَطْهَرَ].

وقد تتبعت هذه الروايات في كتب التفسير القديمة والمعاصرة ـ ما وسعني الجهد ـ فوجدت أن بعض التفاسير قد ذكرها بألفاظ أخرى، أو بأسانيد ضعيفة[١]

(١) كالبغوي ٤٧/٥، ٤٨ وابن عطية ٢٧٨/٥، والرازي ٤٩٥/٢٩، والدكتور عبد الكريم الخطيب ٨٣٠/١٤، وابن عاشور٣٤/٢٨ وغيرهم.

شبكة الألوكة ـ قسم الكتب

أسباب نزول الآيات ١٥ـ ١٨ من سورة المجادلة

ونبدأ دراسة هذه الآيات في المصادر الأربعة التي حددناها سلفا: كتب السنة وهي: "[موطأ مالك، ومسند أحمد، وسنن الدارمي، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النَّسَائِي وسنن ابن ماجه.]

وهي التي اعتمد عليها المزيني في جمع المحرر في أسباب النزول، ثم ننتقل بعد ذلك إلى تفسير الطبري، ثم أسباب النزول للواحدي، ثم أحكام القرآن لابن العربي وقد سبق أن بينا أسباب اعتمادنا على هذه المصادر دون سواها.

وقبل أن نبدأ في دراسة أسباب النزول في هذه الآيات؛ فإننا نلاحظ أن ابن العربي في أحكامه لم يتعرض لشيء منها لأنها ـ في رأيه ـ لا تحتوي أحكاما وبذلك سنقتصر في دراستنا هنا على ثلاثة مصادر فقط.

يقول ﷻ في سورة المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾ ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴿١٧﴾﴾ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة المجادلة١٤ :١٨].

◈ **سَبَبُ النُّزُولِ**. كما ورد في تحرير أسباب النزول عند المزيني:

ـ أخرج أحمد عن ابن عبَّاسٍ –رضي الله عنهما– قال: كان رسول الله –ﷺ– جالسًا في ظلِّ حجرته – قال يحيى: قد كاد يقلص عنه – فقال لأصحابه: (يجيئكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه) فجاء رجل أزرق، فلما رآه النبي –ﷺ– دعاه، فقال: (علام تشتمني أنت وأصحابك)؟ قال: كما أنت حتى آتيك بهم. قال: فذهب فجاء بهم، فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا، وما فعلوا وأنزل الله –ﷻ–: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ). وفي رواية له: فنزلت هذه الآية التي في المجادلة: (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ).

شبكة الألوكة ـ قسم الكتب

دِرَاسَةُ السَّبَبِ:

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة في كتب الحديث. وقد ذكر بعض المفسرين هذا الحديث عند تفسيرها كالطبري، والبغوي، والقرطبي وابن كثير.

وبعد دراسة هذا السبب سندا ومتنا قال المزيني: (إن الحديث المذكور سبب نزول الآية الكريمة لصحة سنده، وصراحة لفظه واحتجاج المفسرين به).[١]

فإذا انتقلنا إلى جامع البيان للطبري نجد أنه ذكر في أسباب نزول هذه الآيات روايتين:

الرواية الأولى:

. حدثنا ابن المثنى . بإسناده . عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: "يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بِعَيْنِ شَيْطَانٍ، أو بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ"، قال: فدخل رجل أزرق، فقال له: "علام تسبني أو تشتمني. قال: فجعل يحلف، قال: فنزلت هذه الآية التي في المجادلة: (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) والآية الأخرى

الرواية الثانية:

. حدثنا ابن حُمَيد . بإسناده . عن سعيد بن جُبَير، قال: كان النبيّ ﷺ في ظلّ حجرة قد كاد يَقْلِصُ عنه الظلّ، فقال: "إِنَّهُ سيأتِيكُمْ رَجُلٌ، أو يَطْلُعُ رَجُلٌ بِعَيْنِ شَيْطَانٍ فَلا تُكَلِّمُوهُ" فلم يلبث أن جاء، فاطلع فإذا رجل أزرق، فقال له: "عَلام تَشْتُمُنِي أَنْت وَفُلانٌ وَفُلانٌ "؟ قال: فذهب فدعا أصحابه، فحلفوا ما فعلوا، فنزلت: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ)[٢]

وتبين بعد مراجعة إسناد هاتين الروايتين أنهما حسنتا الإسناد، والإسناد الحسن يحتج به عند علماء الحديث.[٣]

---

(١) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (٢/ ٩٧٣) والحديث أخرجه أحمد ١/ ٢٤٠١ والحاكم ٢/ ٤٨٢

(٢) جامع البيان ٢٣/ ٢٥٣، ٢٥٥

(٣) راجع أسباب النزول عند الطبري صـ ١٠٦٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإذا انتقلنا إلى أسباب النزول للواحدي وجدناه يذكر لهذه الآيات سببي نزول،

السبب الأول:

– قَالَ السُّدِّيُّ وَمُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَبْتَلٍ الْمُنَافِقِ، كَانَ يجالس النبي ﷺ ثُمَّ يَرْفَعُ حَدِيثَهُ إِلَى الْيَهُودِ. فَبَيْنَا رسول الله ﷺ فِي حُجْرَةٍ مِنْ حُجَرِهِ إِذْ قَالَ: يَدْخُلُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ قَلْبُهُ قَلْبُ جَبَّارٍ، وَيَنْظُرُ بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ. فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَبْتَلٍ، وَكَانَ أَزْرَقَ، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: عَلَامَ تَشْتُمُنِي أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟ فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا فَعَلَ ذَلِكَ، فقال له رسول الله ﷺ: فَعَلْتَ. فَانْطَلَقَ فَجَاءَ بِأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا بالله ما شتموه. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ.(١)

السبب الثاني:

– أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مَطَرٍ، أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ حَدَّثَهُ:

أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ فِي ظِلِّ حُجْرَةٍ مِنْ حُجَرِهِ، وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ كَادَ الظِّلُّ يَقْلِصُ عَنْهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَتَاكُمْ فَلَا تُكَلِّمُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ أَزْرَقُ، فَدَعَاهُ رسول الله ﷺ وَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: عَلَامَ تَشْتُمُنِي أَنْتَ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ؟ – نَفَرٌ دَعَا بِأَسْمَائِهِمْ– فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَدَعَاهُمْ، فَحَلَفُوا بِاللَّهِ وَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ.) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ، عَنِ الْأَصَمِّ، عَنِ ابْنِ عَفَّانَ، عَنْ عَمْرٍو الْعَنْقَزِيِّ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ سِمَاكٍ.(٢)

أما السبب الأول ففيه علتان: الأولى الإرسال، والثانية أن السدى، ومقاتل كلاهما مختلف في توثيقه.

---

(١) أسباب النزول صـ٤٣٣

(٢) وأضاف محقق أسباب النزول قائلا: أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٤٠) من طريق سماك به، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٢) وصححه وأقره الذهبي...وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٢٢) وعزاه للطبراني وأحمد والبزار وقال: رجال الجميع رجال الصحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأما السبب الثاني فإنه صحيح وقد نص الواحدي على صحته

وليس في هذه الروايات التي ذكرت آنفا من **إشكال إلا في السبب الأول** الذى ذكره الواحدي في كتابه فعلى الرغم من ضعف إسناده فقد تناقلته كتب التفسير فقد ذكره الثعلبي[١]، والبغوي[٢] وذكره ابن الجوزي في تفسيره، ولم يعلق عليه بشيء[٣]

وظلت رواية السدى الضعيفة تتناقل حتى وصلت إلى ابن عاشور في تفسيره تحرير التنوير فرواها دون تعقيب.[٤]

وعلى الرغم من النقد الشديد الذي ذكره الأستاذ محمد عزت دروزة في مقدمة تفسيره لما أورده المفسرون القدامى في تفاسيرهم من أسباب النزول الضعيفة إلا أنه قد روى هذه الرواية أيضا، وتكلف لها القبول فعقب عليها قائلا:**(**والرواية متسقة إجمالا مع مضمون الآيات. غير أن الآيات تفيد أن الفريق المندد به أكثر من شخص واحد. وهذا لا ينفي احتمال صحة رواية مناسبة النزول، ولكن يلهم أنه كان لهذا المنافق أمثال. فاقتضت حكمة التنزيل شمولهم جميعا بالحملة الشديدة التي احتوتها الآيات مع طمأنة قوية للنبي ﷺ ووعد بالنصر والغلبة**)**.[٥]

وإلى هنا انتهت سورة المجادلة في المحرر من أسباب النزول في الكتب التسعة، وكذلك في تفسير الطبري.

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي عن السدي٢٦٣/٩

(٢) معالم التنزيل ٤٩/٥ وقد قام محققه الأستاذ/عبد الرازق المهدى بدراسة إسناده ومصادر تخريجه، وانتهى أن له شواهد صحيحة راجع حاشية صـ ٤٩/٥ الحديث رقم " ٢١٥٣" فقال: وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.- وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٢٢ وقال: رجال أحمد رجال الصحيح اهـ.

(٣) زاد المسير ٢٥٠/٤.

(٤) راجع التحرير والتنوير صـ ٤٩/٢٨.

(٥) التفسير الحديث ٤٩٢/٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أسباب النزول للآية ٢٢ سورة المجادلة:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ الآية﴾ [سورة المجادلة:٢٢].

أول ما واجهنا في بحث أسباب النزول في هذه الآية هو أن ماورد بها من أسباب على كثرتها لم يرد منها شيء في كتب السنة المعتبرة [موطأ مالك، ومسند أحمد، وسنن الدارمي، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النَّسَائِي وسنن ابن ماجه.]

وهي الكتب التسعة التي اعتمد عليها الدكتور / خالد المزيني الذى جعلناه من مصادر هذا البحث، وإضافة إلى ذلك فقد أعرض الطبري عن هذه الروايات أيضا فلم يذكر منها شيئا، وعدم رواية أي من الأسباب الواردة حول هذه الآية في هذه الكتب **يمثل الإشكال الأهم في دراستها**، واعتماد بعضها كسبب لنزول الآية.

لكننا وجدناها ثلاث روايات في مصدرين من المصادر الأربعة التي قام عليها هذا البحث وهما: أسباب النزول، وأحكام القرآن لابن العربي.

ففي أسباب النزول للواحدي ذكر روايتين:

◈ الرواية الأولى:

قال ابن جريج: (حُدِّثْتُ أَنَّ أَبَا قُحَافَةَ سبَّ النبي ﷺ فَصَكَّهُ أَبُو بَكْرٍ صَكَّةً شَدِيدَةً سَقَطَ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ ذلك للنبي ﷺ، فقال: أَوَفَعَلْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَلَا تَعُدْ إِلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ السَّيْفُ قَرِيبًا مِنِّي لَقَتَلْتُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ الْآيَةَ).(١)

◈ الرواية الثانية:

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ قَالَ: (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، قَتَلَ أَبَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْجَرَّاحِ يَوْمَ أُحُدٍ. وَفِي أَبِي بَكْرٍ، دَعَا ابْنَهُ يَوْمَ بَدْرٍ إِلَى الْبِرَازِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَكُنْ فِي الرَّعْلَةِ الْأُولَى. فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: مَتِّعْنَا بِنَفْسِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّكَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ سَمْعِي وَبَصَرِي؟

---

(١) أسباب النزول ١/٤٣٤ وحاشيتها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَفِي مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَتَلَ أَخَاهُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَوْمَ أُحُدٍ. وَفِي عُمَرَ، قَتَلَ خَالَهُ الْعَاصَ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ يَوْمَ بَدْرٍ. وَفِي عَلِيٍّ وَحَمْزَةَ [وَعُبَيْدَةَ]، قَتَلُوا عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ يَوْمَ بَدْرٍ. وَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ، أَوْ أَبْنَاءَهُمْ، أَوْ إِخْوَانَهُمْ، أَوْ عَشِيرَتَهُمْ.)(١)

أما الرواية الأولى فهي عبارة عن حديث مرسل عن التابعي ابن جريج، وهي مع ضعفها لإرسالها، فابن جريج مختلف فيه من حيث التوثيق.(٢)

وأما الرواية الثانية فبدون إسناد وإنما ذكرها الواحدي عن ابن مسعود رضى الله عنه مباشرة؛ ولما تتبعتها وجدت أن البغوي ذكرها في تفسيره بهذا الإسناد: وَرَوَى مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ ...إلخ. وتعقب محقق تفسير البغوي هذا الإسناد فقال عنه: عزاه المصنف لمقاتل عن مرة به، ولم أقف على إسناده إلى مقاتل، ومقاتل روى مناكير، وهو غير حجة، فالخبر واه)(٣)

◈ الرواية الثالثة:

وأما ابن العربي فقد ذكر بخصوص هذه الآية مسألتين: المسألة منهما عن سبب نزولها فقال: (رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ؛ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ... إلخ)

وهي الرواية الثانية التي ذكرناها آنفا عن الواحدي؛ لكنها مختصرة وغير مسندة وبصيغة التمريض " رُوِيَ"؛ وإنما ذكرها ابن العربي ليستدل بها مناكفة القدرية وعدم مجالستهم، حيث قال بعدها: (مَسْأَلَة مُجَالِسَة الْقَدَرِيَّةَ وَمُعَادَاتِهِمْ فِي اللَّهِ، رَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ: لَا تُجَالِسْ الْقَدَرِيَّةَ وَعَادَهُمْ فِي اللَّهِ لِقَوْلِ الْآيَةِ: {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المجادلة: ٢٢](٤)

---

(١) أسباب النزول ٤٣٤/١ وحاشيتها.

(٢) أسباب النزول ٤٣٤/١ وحاشيتها.

(٣) تفسير البغوي معالم التنزيل ٥٠/٥.

(٤) راجع أحكام القرآن لابن العربي ٢٠٣/٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن خلال تتبعي لهذه الروايات في كتب التفسير ـ غير ما ذكرناه آنفا ـ وجدت أنها قد وصلت إلى خمس روايات في كل رواية سبب يختلف عن سابقه:

١ـ قيل نزلت في أبى بكر الصديق وابنه.

٢. وقيل نزلت في أبى عبيدة بن الجراح وأبيه.

٤. وقيل نزلت في حاطب بن أبى بلتعة.

٥. وقيل نزلت في المنافقين. وفى البعد عن السلاطين الظلمة.(١)

وقد تتبعها العلماء والباحثون بالنقد والتفنيد حتى انتهينا إلى **ابن عاشور** في تفسيره التحرير التنوير، فوجدته قد جمع شتات هذه الروايات، وقال فيها عبارة جامعة لعلها تكون أرجح ما يقال فيها، يقول ابن عاشور: (وَرُوِيَتْ ثَمَانِيَةُ أَقْوَالٍ مُتَفَاوِتَةٍ قُوَّةَ أَسَانِيدَ اسْتَقْصَاهَا الْقُرْطُبِيُّ فِي نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ وَلَيْسَ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِلْآيَةِ سَبَبُ نُزُولٍ فَإِنَّ ظَاهِرَهَا أَنَّهَا مُتَّصِلَةُ الْمَعْنَى بِمَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا مِنْ ذَمِّ الْمُنَافِقِينَ وَمُوَالَاتِهِمُ الْيَهُودَ، فَمَا ذُكِرَ فِيهَا مِنْ قَصَصٍ لِسَبَبِ نُزُولِهَا فَإِنَّمَا هُوَ أَمْثِلَةٌ لِمُقْتَضَى حُكْمِهَا.)(٢)

ويقصد ابن عاشور أن ما رواه المفسرون على أنها أسباب نزول لهذه الآية إنما يدخل في تفسيرها وبيان حكمها، وذلك من خلال ضرب أمثلة واقعية للمقصود منها كذكر مواقف بعض الصحابة التي تفسر مضمون الآية، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما أكدنا ذلك مرارا فيما سبق.

ولهذا المعنى الذى ذكرناه عن ابن عاشور ذهب الدكتور محمد عزة دروزة فقال: (ولقد ذكر المفسرون أنها نزلت بسبيل التنويه بأبي بكر، أو أبي عبيدة، أو بمصعب بن عمير، أو بعلي وحمزة رضي الله عنهم جميعا على اختلاف الروايات بسبب ما بدا منهم من موقف قوي شديد ضد آبائهم وذوي أرحامهم الكفار.

---

(١) راجع أحكام القرآن لابن العربي ٢٠٣/٤.وسيأتي مزيدا من المصادر لهذه الأقوال.

(٢) التحرير والتنوير ٥٨/٢٨.

شبكة الألوكة ـ قسم الكتب

ونحن نتوقف في هذه الرواية التي لم ترد في كتب الحديث المعتبرة، ونلحظ أن للآية اتصالا قويا بالآيات السابقة، وأنها جاءت معقبة عليها بسبيل توكيد كون المخلصين في إيمانهم منزهين عن فعل ما يفعله المنافقون الذين حكت الآيات السابقة صورة من مواقفهم).(١)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) التفسير الحديث ٤٩٨/٨، وللاستزادة في بيان هذه الأقوال يمكنك مراجعة المصادر التالية: معانى القرآن للزجاج ١٤١/٥، تأويلات أهل السنة للماتريدي ٥٧٧/٩، إعراب القرآن للنحاس ٤٢٠/٣، بحر العلوم لأبى الليث السمرقندي ٤٢٠/٣، النكت والعيون للماوردي ٥/ ٤٩٦، ٤٩، الكشاف للزمخشري ٤/ ٤٩٧، وزاد المسير لابن الجوزي ٢٥١/٤، وأحكام القرآن للقرطبي ٣٠٧/١٧، والبحر المحيط أبو حيان " ٧٤٥"هـ ١٣٢/١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ابن كثير ٨/ ٥٤، والدر المنثور السيوطي ٨٦/٨، وروح المعاني للألوسي ٢٣٠،٢٣١/٢٤ وغيرها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الخاتمة

الحمد لله الذى بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وتابعيه وسلم تسليما كثيرا، وبعد،

فهذا البحث قد أجاب على تساؤل وهو: هل في علم أسباب النزول إشكالات؟

وكان الجواب: نعم، تثبته الأدلة العلمية من خلال الرجوع إلى مصادر هذا العلم الموثقة، ونبه هذا البحث من خلال إجابته على هذا التساؤل زيف قول العلمانيين إن لكل آية في القرآن الكريم سببا ليثبتوا أن القرآن مصدره أرضى لا إلهى! وكان إثبات هذا الزيف نقلا وعقلا وإحصاء.

وتتبع هذا البحث بعض إشكالات التعريف من خلال ما طرحته العقلية العلمية الإسلامية في تناولها لمصطلحات هذا التعريف ومضامينه؛ وانتهى البحث إلى إقرار ما أجمع عليه العلماء وما يتلاءم مع طبيعة هذا العلم ومنهجيته ووظيفته بالنسبة لعلم التفسير.

وفى مجال التطبيق: كانت سورة المجادلة التي جعلناها موضوع الدراسة وانتهينا من دراسة الأسباب الواردة في آياتها إلى أن معظم هذه الأسباب قد أصابها الضعف في إسنادها، ومع ذلك تناقلتها كتب التفسير قديما وحديثا، وأن القليل الذى كان صحيح الإسناد جاء بعضه لا يناسب سياق الآية أو الآيات التي جاءت كأسباب نزول لها.

وفى نهاية الأمر يكشف هذا البحث ـ وبخاصة في الجانب التطبيقي منه ـ أن أسباب النزول في كتب التفسير قديمها وحديثها على السواء تحتاج مراجعة دقيقة: سندا ومتنا في ضوء ما وضعه العلماء من ضوابط لقبول هذه الأسباب أو رفضها.

شبكة الألوكة ـ قسم الكتب

وعلى الله قصد السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

-أسباب النزول للواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

– أسباب النزول ـ بين علماء علوم القرآن والحداثيين / مجلة كلية أصول الدين والدعوة / العدد الأربعون / د/ إبراهيم على نقلا عن الحداثة في العالم العربي.

– أصول الفقه لأبي زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٧م.

-البرهان في علوم القرآن للزركشي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

– التحرير والتنوير: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ـ الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.

– التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول] ـ محمد عزت دروزة ـ دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ـ الطبعة: ١٣٨٣ هـ

– تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: سامى محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ لابن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

– الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

– الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، الناشر: دار الفكر – بيروت.

– سراج المريدين للقاضي أبي بكر ابن العربي، تحقيق: الدكتور عبد الله التوراتي، دار الحديث الكتانية، المغرب، ١٤٣٨هـ.

– سقوط الغلو العلماني ـ د/ محمد عمارة، ط دار الشروق ٢٠٠٢م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين – بيروت . الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

– العجاب في بيان الأسباب لابن حجر. تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس . دار ابن الجوزي . د.ت

– علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف، الناشر: مكتبة الدعوة – شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم)، الطبعة: الثامنة.

– الفوز الكبير في أصول التفسير. الإمام أحمد بن عبد الرحيم (المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (المتوفى: ١١٧٦هـ) . عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي . دار الصحوة – القاهرة . الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م

– قواعد التدبر د/ حسن حبنكة، دار القلم– دمشق، ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م.

– كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري . تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي . دار ومكتبة الهلال.

– كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م.

– لباب النقول في أسباب النزول . للسيوطي . تحقيق أحمد عبد الشافي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . د.ت.

– لسان العرب . جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت . الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

– محاسن التأويل للقاسمي . محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود . دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

– المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية . د/ خالد المزيني . دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية . الأولى، (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م).

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لابن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

– المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه وأثرها في التفسير د/ فهد الوهبي، مكتبة الرشد، السعودية.

– المعجم الاشتقاقي للدكتور محمد حسن جبل رحمه الله . مكتبة الآداب . القاهرة

– معجم مقاييس اللغة لابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

– معجم المفصل في علوم البلاغة جمع وترتيب د. إنعام عكاوي ضمن سلسلة الخزانة اللغوية، ط دار الكتب العلمية.

– مقدمة في أصول التفسير. لابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ) دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

– المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) . المحقق: صفوان عدنان الداودي . دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ ١/٣٩١.

– الموافقات للإمام الشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ـ دار ابن عفان . الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

– موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات (بحث محكم بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٤٢٥هـ) المؤلف: أحمد بن محمد الشرقاوي سالم.

. الهداية في بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب